شَرْحُ رسالة

مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان التميمي

-رَحِمَهُ اللَّهُ تعَالى-

شرح فضيلة الشيخ

د. بدر بن علي بن طامي العتيبي

حفظه الله تعالى

الشيخ لم يراجع التفريغ

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ

المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. أما بعد..

فأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يوفقنا وإياكم إلىٰ العلم النافع وإلىٰ العمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال، وأن يجعلنا من عباد الله العالمين العاملين الداعين إلىٰ الله، الصابرين علىٰ الأذىٰ في سبيل الله.

ثم أحمد الله -عز وجل- الأول الذي ليس قبله شيء علىٰ ما أكرمنا بهذا اللقاء الطيب المبارك في هذه الدورة العلمية التي يقوم بها الإخوة في المكتب التعاوني لتوعية الجاليات والدعوة والإرشاد بمحافظة بقيق.

وجهودهم مشكورة، وسَرّني ما وقفت عليه من برنامج علمي مُؤصَّل، يقوم علىٰ مهمات المتون التي تَخَرّج عليها جموع من أهل العلم، وليست العبرة بكثرة المقروءات، ولا بكثرة المؤلفات المشروحة، وإنما العبرة بكمال الأصول وشموليتها.

وعندما عُرِضَت عليّ الكتب التي شُرِحَت في الدورات الماضية والمؤمَّل أن تُشرَح في الدورات الآتية، فإذا بها هي الطريقة التي تَخَرّج بها كبار العلماء في هذه البلاد.

وطالب العلم ينبغي أن يحرص الحرص البالغ علىٰ أن يُؤصِّل نفسه أَتَمّ التأصيل، وأن يعتني بضَبْط الأصول العلمية، ولا يُكثِر علىٰ نفسه من الولوج في الفنون والمتون علىٰ غير ضوابط مستقرة.

اليوم كثير من الشباب ربما يحاول أن يَقْرَأ أو يُقْرِئ إن كان طالب علم في الدروس الكثير من المتون من غير نَظَرٍ في تمام الأصل وحُسْن التقعيد وضَبْط الأصول؛ وهذا من الخطأ.

ومَنْ سَبَرَ منكم ونَظَر في تراجم العلماء، وأعني بهم علماء العصر الحاضر من مشايخنا كأمثال الشيخ عبد العزيز ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ-، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، وطبقتهم، ومَنْ كان قبلهم في القرن الماضي؛ يجد الناظر بأنهم تَخَرّجوا عن مجموعة من المتون معدودة، في كل فنٍّ متن أو متنين، أو كتاب أو كتابين، تخرجوا بها فأصبحوا أئمة يُهتدَىٰ بهم، ويُقتدَىٰ بهم، ويستفيد الناس من علومه.

وهذا ما سار عليه الإخوة في هذه المحافظة وفي المكتب التعاوني جزاهم الله خير، مما لمست أنهم يطلبون حُسْن التأصيل، وهي نعمة عظيمة أن قَرّبوا العلم إلىٰ طُلّاب العلم.

فأُشيد بجهودهم، وأنصح إخواني بالمواظبة والمتابعة علىٰ كل ما يقام من دورات علمية في هذه المحافظة، خاصةً وأنها تتمركز بين العديد من المدن المجاورة، وكذلك بعض دول الخليج.

فالحضور فيها والمؤازرة أرىٰ بأنه من المهمات؛ تحقيقًا لا تنميقًا، وإنما هو الواقع لِمَا قَدّموا من شروحات ومن دورات؛ التي أسأل الله -عز وجل- أن يكتب بها النفع والفائدة.

ثم موعدنا جميعًا مع رسالة شيخ الإسلام الإمام الْمُجَدِّد محمد بن عبد الوهاب -عليه رحمة الله- -عز وجل-، التي كَتَبها عن مسائل الجاهلية التي خالفها رسول الله ﷺ.

وذلك أن الله -عز وجل- في الكتاب الكريم والنبي ﷺ في سُنّته الصحيحة ذكروا بعض الصفات والعقائد والمذاهب للأمم السابقة من يهود ونصارىٰ، ومن المشركين، ومن غيره من الكفار.

وعندما يحكي الله -عز وجل- أمثال هذه القصص وتلك الأخبار إنما المراد بذلك التنبيه لنا، أن لا نقع فيما وقعوا فيه، كما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما في مثل

هذا المعنىٰ؛ فإن ذلك الخطاب ليس في قومٍ كانوا فبانوا، وإنما هو تنبيهٌ لنا بأن لا نسلك مسالكهم، ولا نقع فيما وقعوا فيه من مخالفةٍ لأَمْر الله -عز وجل-.

وهذه الرسالة علىٰ اختصارها إلا أنها رائدة في بابها، وقليلٌ مَنْ صَنَّف فيها.

فقد سَبَقه بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في كتابه المشهور اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة سبيل أهل الجحيم؛ فتكَلّم فيها ببيان الصراط المستقيم، وبيان ما يخالف ذلك من سبيل أهل الجحيم مما كان من عادات اليهود والنصارىٰ وعموم المشركين.

ثم جاء شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في هذه المسائل علىٰ وجه الاختصار، وهذه طريقة الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-؛ أنه لا يحب الإطناب والإسهاب، وإنما يختصر في عامة مؤلفاته -عليه رحمة الله- -عز وجل-؛ وهذا من حُسْن التأليف، تأليف قلوب الناس أيضًا إلىٰ النظر في هذه المؤلفات أنه لا يُطيل مع أنه غزير العلم، واسع الاطّلاع، نَخَلَ الكثير من مكتبات البصرة، ومكتبات الأحساء، ومكتبات نجد، ومكتبات الحرمين، وقرأ الكثير، ونَسَخ الكثير -عليه رحمة الله- -عز وجل-.

حتىٰ إنه من شِدّة عنايته بالكتب يعرف الكتب أين توجد، وأحال في بعض المواطن علىٰ كتاب إعلام الموقعين، وقال: تجدونه في مكتبة فلان، أحال عليه؛ هذا مما يدل علىٰ سعة اطّلاعه -عليه رحمة الله-.

ومَنْ نَظَرَ في دقائق كلام شيخ الإسلام يعلم يقينًا بأنه واسع الاطّلاع، حتىٰ علىٰ كُتب المخالفين وكُتب المتكلمين، ويعرف ما عندهم من عقائد، ولكن مسلكه مسلك المحققين العلماء الربّانيين لا يعطي الناس إلا ما يُفيدهم.

فليست الحِنكة وسعة الاطلاع أن تُقَمِّش ثم تعطي الناس كل ما قَمّشت، ولكن الحنكة وسعة الاطلاع أن تُقَمِّش ثم تُفَتِّش ثم تعطي الناس ما ينفعهم ويُفيدهم، ويُؤصّل الدين في قلوبهم؛ فكذلك هذه الرسالة وسائر مؤلفات الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وقد تكرر مِرارًا وتكرارًا ذِكْر مزايا مؤلفات الشيخ محمد، **وأنها تتميز بثلاث مزايا:**

المَزِيّة الأولى: الاعتماد الكلي علىٰ الكتاب والسُّنة؛ فهو رجلٌ أثري الأصل، يعتمد علىٰ نصوص الوحيين وآثار السلف؛ وهذه ميزة، وهي التي بها بإذن الله -عز وجل- لَمَسَ الناس البركة في مؤلفاته واستفادوا منها، فليست من كُتُب الرأي، ولا تُعَبِّر عن رأيه الخاص، وإنما هو يحكي ما جاء في كتاب الله وفي سُنّة النبي ﷺ، وكذلك ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

الميزة الثانية من مزايا مؤلفات شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: الاهتمام بأصل الأصول، وهو التوحيد.

وكذلك يهتم الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بأربع مسائل، وعليها تدور عامة مؤلفات الشيخ؛ إذًا مشهور عند طلاب العلم أن الشيخ جاء بمسائل التوحيد، وفي الحقيقة جاء بأربع مسائل مهمة جدًّا، كَثُرَت فيها المخالفة في زمانه، فَنَقَبها وبَيّن الصواب والصحيح.

الآفات الأربع التي حاربها شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وصحح السبيل فيها؛ هي:

الشرك: فَحَذَّر منه، وبَيّن التوحيد الواجب، فجاء بكتاب التوحيد (باب من الشرك، باب من الشرك، باب من الشرك) يُبين الشرك الذي يقع فيه الناس، ويُبيّن التوحيد الذي أوجبه الله تعالىٰ عليهم.

الأمر الثاني الذي حَذَّر منه الشيخ: البدعة، وأرشد الناس إلىٰ السُّنة، ودَلّهم إليها، وعَلّمهم إياها، وأَلَّف الكتب والمصنفات في سُنّة النبي ﷺ في الصلاة ككتاب شروط الصلاة، وآداب المشي إلىٰ الصلاة، وكذلك بقية الأحكام، واختصر المصنفات الطوال..

بل من حِرْصه علىٰ السُّنة أن قَدّم.. أخرج بعض الكتب حتىٰ في الأدب، كما جاء في كتاب نصيحة المسلمين، وهو ليس من مؤلفات الشيخ محمد -رَحِمَهُ اللهُ-، وإن كان قد طُبِع ظَنًّا من الناشر بأنه من مؤلفات الشيخ محمد؛ لأنه وُجِدَ بخَطّه، ولكن الصحيح: أن هذا الكتاب جزءٌ من كتاب مُشكاة المصابيح للتبريزي، فنُشِر علىٰ أنه من مؤلفات الشيخ محمد، ولكن من حِرْصه علىٰ نَشْر السُّنة أنه اهتم بهذا الكتاب ليُقَدّمه إلىٰ الناس حتىٰ يعرفوا آداب النبي ﷺ؛ فإذًا حَارَب البدعة وجاء بالسُّنة.

المحظور الثالث الذي حَذَّر منه الشيخ محمد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: التعصب والتقليد، فجاء بالحث علىٰ الاتّباع، ونَبْذ التعصّب والتقليد كما في رسالته لعبد الله بن عبد اللطيف عالم الأحساء، وكذلك في القواعد الأربع في الفقه والخلاف.

فبَيّن فيه قُبْح التعصب والتقليد للأئمة وتَرْك الاتباع (اتّباع الكتاب والسُّنة)، كما هو مذهب الأئمة الأربعة فيما صَحّ عنهم في أقوالهم المشهورة.

المحظور الرابع الذي حَذّر منه الشيخ محمد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: الحِيَل (جَمْع حِيلة)، أو التحايل علىٰ الشرع فأبطله.

وهذه طريقة العلماء من قبل؛ كلهم جاءوا بإبطال الحِيَل، والتحذير منها؛ لأن هناك مَنْ يُعانِد في الاعتقاد، وهناك مَنْ يعاند في الحلال والحرام والأمر والنهي.

فالذين يعاندون في الاعتقاد: هم أهل الشرك والبدعة.

والذين يُعاندون في الأمر والنهي: هُم أهل الحِيَل؛ فيتحايلون علىٰ الربا، ويتحايلون علىٰ الغِناء، ويتحايلون علىٰ الخمر، فيأتون بحِيَل يستحلّون بها ما حَرّم الله -عز وجل-.

وأَلّف ابن بطة -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- كتاب إبطال الحِيَل.

وشيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- كذلك له كتاب في إبطال الحِيَل.

والأئمة ما زالوا يُنَبّهون علىٰ هذه الآفة التي يُتلاعب بها في دين الله -عز وجل-، وتُستباح بها المحرمات، ويضعف بها جناب الأمر والنهي في دين الله -سبحانه وتعالىٰ-.

فهذه مزايا مؤلفات شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- التي تَمَيّز بها.

الميزة الثالثة والأخيرة من مزايا مؤلفات الشيخ: البُعد عن التكلف، ولعلها هي التي من أجلها سردت هذه المزايا.

البعد عن التكلف؛ فمؤلفاته لطيفة، خفيفة، يقرؤها طالب العلم ويستفيد، ويقرؤها العالم ويستفيد، ويسمعها العامي وتُقرَأ عليه ويستفيد، ليس فيها تعقيدات الألفاظ، ولا مستوحش اللغة، ولا عبارات أهل الكلام، وإنما هي عبارات تُفهَم وتُدرَك.

ومن دقيق فَهْم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: الاتجاه إلىٰ الاختصار والإيماء إيكالًا لطالب العلم علىٰ حِفْظه واطّلاعه ونَظَره، كما هو منهج الإمام البخاري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-؛ أنه له إيماءات وله إشارات، وله اختصارات، يدعها لطالب العلم، يصل إلىٰ الدليل، أو يصل إلىٰ المعنىٰ المراد من الخبر، فتجد أنه يذكر المسألة والفائدة، ولا يشير إلىٰ الدليل؛ إما لظهوره، وإما تَرْكًا لطالب العلم أن يطلب الدليل من مظانه من الكتاب والسُّنة؛ وهذا سيمر معنا في هذه الرسالة أنه يأتي ببعض المسائل، ويأتي بالدليل عليها، وبعض المسائل لا يأتي بالدليل عليها ولها دليل، ولعل هذا من مسالك البحث والنظر عند طالب العلم، حتىٰ يُشغِل الذهن ويشحذ الهِمّة، ويعود إلىٰ الكتب.

وأنا أوصي إخواني الآن في هذا المجلس بأننا إذا عُدنا إلىٰ بيوتنا وإلىٰ مكتباتنا أن نجتهد، وأن نعرف ما هو الدليل.

مُر علىٰ مسألة مسألة، مائة وثمانية وعشرون مسألة عندنا، مُرْ علىٰ مسألة مسألة، ما هو الدليل، ثم احْشُد أكبر قدر ممكن من الأدلة علىٰ هذه المسألة، أكبر قدر ممكن تفيدك في وقت الأداء -أنت الآن في وقت التحمّل والتَّلقي-، تفيدك في وقت الأداء، وإقامة الدروس، وتعليم الناس، إلا وعندك كمية من الأدلة والنصوص والأخبار والآثار والأشعار، كمُسْوَدّة عندك في مكتبتك.

ثم إن جاء وقت الأداء إلا والمادة العلمية جاهزة عندك عن هذه الأمور.

فنقرأ مستعينين بالله -عز وجل- رسالة..

لَمّا ذكرت المصنفات في هذا الباب:

- ذكرت اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ومسائل الجاهلية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.
- وذَيّلها الألوسي أبو المعالي بتعليقات وإضافات مفيدة.

- وكذلك تَبِعهم في هذا شيخنا الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في كتابه الإيضاح والتبيين في مخالفة سبيل المشركين، فجَمَع صفات اليهود والنصارىٰ الذين أمرنا الله -عز وجل- بمخالفتهم فيما كان شِعارًا لدينهم أو عَيْبًا اقترفوه.

- وكذلك صَنّف شيخنا الشيخ عبد الله بن سعدي العبدلي الغامدي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- كتابين اثنين؛ أحدهما سماه منهج الْمُنعَم عليهم، والآخر: منهج المغضوب عليهم.

فمنهج المغضوب عليهم: هي المسائل والصفات والأخلاق والعقائد التي كان عليها اليهود والنصارىٰ ومَنْ خالفوا أَمْر الله -عز وجل-.

يقول الشاعر:

عَرَفْـــــتُ الشّـــــرَّ لا لِلشّـــــرِّ لكـــن عرفـــت الشـــر حتـــىٰ أتّقيـــه.

فعندما نعرف خصال اليهود والنصارىٰ وكُفّار قريش التي ذَمّها الله -عز وجل- فنحن المعنيون بها، أن نجتنبها وأن لا نقع فيها.

"هـذه أمـور خَـالَف فيهـا رسـول الله ﷺ مـا عليـه أهـل الجاهليـة الكتـابيين والأميين، مما لا غِنىٰ للمسلم عن معرفتها.

فالضـــد يُظهِـــر حُسْـــنه الضـــد وبضـــدها تتبـــين الأشـــياء

فأهم ما فيها وأشدها خطراً: عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ".

"فإن انضاف إلىٰ ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]".

عندما أنشد هذا البيت: المراد بذلك أن الشخص لا يستطيع أن يعرف الحق حتىٰ يعرف الباطل، فيتميز عنده الحد ما بين الحق والباطل، فما هي حدود الحق، وما هي حدود الباطل؛ حتىٰ اتّبع الحق وأجتنب الباطل؟

وهذا مما يُلزِم المسلم بأن يعرف حدود ما أنزل الله، فَذَكَر شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- ابن تيمية في أول كتابه في الرد علىٰ الرازي نَقْض التأسيس، ذَكَرَ بأن من علامات الكفر والنفاق: الجهل بحدود ما أنزل الله.

والحدود المراد بها: الحلال والحرام.

وكذلك الحدود المراد بها: التعاريف والمعاني.

فالتعريف والمعنى: يقال: حَدُّ الصلاة، حَدّ الطهارة، حَدُّ الزنا، حَدُّ الخمر، ما هو الخمر، ما هو الزنا، ما هي الطهارة، ما هي الصلاة، ما هي الزكاة، ما هو البر، ما هو الفجور؟

فاعرف حدود ما أنزل الله؛ فإن كان حقًّا تلتزم به، وإن كان باطلًا تجتنبه، ولا يستقيم لك الاستقامة علىٰ الحق حتىٰ تعرف الباطل.

ولذلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فيها حقٌّ يُتَّبَع وباطل يُجتنَب؛ فـ(لا إله) باطل يُجتنَب، (إلا الله) حقٌّ يُتَّبَع، التوحيد، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة.

فكذلك عندما ذَكَر الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- صفات اليهود والنصارىٰ ليس المراد بذلك التحلي بالتصنيف، أو المراد بذلك التتبع من غير فائدة، وإنما المراد بذلك: أن تعرف صفات القوم فتجتنبها، وتعرف ما هُم فيه من دناءة ومن قُبْح اعتقاد، فتحمد الله -عز وجل- علىٰ ما أنعم عليك به من توحيد الله -سبحانه وتعالىٰ-، واتّباع المرسلين.

"فإن انضاف إلىٰ ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]".

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر: ١-٢] فالذي لا يستقيم علىٰ أَمْر الله -عز وجل- خاسر.

"**المسألة الأولى**: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله لِظَنّهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبّونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتىٰ بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أُرْسِلَ به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أَنّ مَنْ فَعَل ما استحسنوا فقد حَرّم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه هي المسألة التي تَفَرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شُرِع الجهاد كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]".

التمييز ما بين التوحيد والشرك هذه مسألة عظيمة.

مراد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: التمييز ما بين التوحيد والشرك الذي أَمَر الله -عز وجل- به، وهو إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، وعدم طَلَب الشفاعة والقُرْبة من المخلوقين والتقرب إليهم، وهو ما يسمىٰ بتوحيد الألوهية، وهو التوحيد الذي به أو من أجله خَلَق الله الخَلق، وبَعَث الرسل، وأنزل الكتب، وقامت سوق الجنة والنار، وشُرِع الجهاد، كل ذلك من أجل توحيد الألوهية، ومع ذلك خالف فيه المشركون، وأُمرنا بمخالفتهم في ذلك وأن نستقيم علىٰ توحيد الله -سبحانه وتعالىٰ-.

وهذه من أعظم المسائل التي يُدندن عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مؤلفاته، وهي التي جاء من أجلها القرآن الكريم، من أوله إلىٰ آخره، كل ذلك من أجل تحقيق (لا إله إلا الله).

وذلك أن الشيخ محمد -رَحِمَهُ اللهُ- خَرَج علىٰ أقوامٍ جَهِلوا التوحيد الواجب، وجَهِلوا معنىٰ الشرك الذي حَذّر الله منه، فظنوا بأن التوحيد الواجب هو الإقرار لله -عز وجل- بالربوبية، وأنه الخالق الرازق المدبر المحيي المميت.

وأما توحيد الألوهية فلم يعترفوا به، ولم يروه من أصل التوحيد، وإنما رأوه من مَكَمّلات الأعمال، يُصَوَّب ويُخَطَّأ، يجوز ولا يجوز، يستقيم ويعصي، لا يرون بأنه يصل إلىٰ الشرك المنافي لـ (لا إله إلا الله).

فبَيّن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- حقيقة التوحيد الواجب، وبيّن حقيقة الشرك الذي حَرّم الله -عز وجل- منه؛ وهي إحدىٰ المسائل الأربع التي أخبر الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- بأنه قد عُرِف بها، إحدىٰ المسائل الأربع التي ذَكَر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في رسالته لمحمد بن عيد مطوع ثرمداء أنه قال عن نفسه: عُرِفت بأربع مسائل:

الأولى: تحقيق معنىٰ التوحيد.

والثانية: تحقيق معنىٰ الشرك.

والثالثة: تكفير المشركين.

والرابعة: قتال أهل الإشراك.

هذه المسائل الأربع التي اشتُهِر بها الشيخ محمد، وفي كل مسألة منها له في ذلك مصنفات.

فتحقيق التوحيد: أَلّف ثلاثة الأصول، وبَيّن التوحيد الواجب لله -عز وجل-.

وتحقيق معنىٰ الشرك: هناك مَنْ يظن بأن الشرك هو فقط اعتقاد الخالقية والرَّزْق في المخلوقين، فبيّن الشيخ أن الشرك: أفعال وأقوال وعقائد وأنواع، شِرْك الطاعة، شِرْك العبادة، والشرك العملي، والشرك القولي، والشرك الخفي، والشرك الظاهر، وصَنّف في ذلك كتاب التوحيد (بابٌ من الشرك، بابٌ من الشرك، بابٌ من الشرك).

فَهُم ظنوا بأن الشرك فقط أن تعتقد بأن الولي فلان أو الرجل الصالح يخلق ويرزق، هذا كلام باطل، ولا حتىٰ قال به كثير من المشركين، لكن أكثرهم يجعلونهم وسطاء وشفعاء

بينهم وبين الله -سبحانه وتعالىٰ-، فأنكره الشيخ محمد وبَيّنه لهم في كتابه كتاب التوحيد.

ثم جاء عند موجبات الكفر، أو تكفير المشركين، وأَلّف في ذلك كتاب مفيد المستفيد في كُفْر تارك التوحيد، وهو ما يُسمىٰ باب الأسماء، فعندما بَيّن التوحيد وبَيّن حدوده، وبَيّن الشرك وبَيّن حدوده، ما حُكم مَنْ لم يأتِ بالتوحيد ووقع بالشرك؟ ما اسمه؟

ما الناس عندنا إلا ثلاثة: مسلم، وكافر، ومنافق.

فماذا نسميه؟

فبيّن الشيخ: أنه إذا وقع في الشرك وتحققت فيه الأسباب والشروط المتبعة والمعتبرة عند أهل العلم فإنه لا يسمىٰ إلا مشركًا.

وأشد الخصومة في المسألة الثالثة والرابعة، فالأولىٰ والثانية عامة خصومته مع العوام الذين يقعون في الشركيات والبِدَع والمخالفات.

ولكن أشد الخصومة التي جُوبِه بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كانت في مسألة الأسماء، مَنْ المسلم، ومَنْ المشرك، وألّف رسالته المشهورة مفيد المستفيد في كُفْر تارك التوحيد.

وكذلك في المسألة الرابعة مسألة القتال، إذا ثَبَت بأنه مشرك قد كَفَر بالله -عز وجل-، ما حُكمه في الشرع؟

إن كان فردًا استُتيب فإن تاب وإلا قُتِل، وإن كانوا جماعة استُتيبوا فإن تابوا وإلا قوتلوا.

وصَنّف فيها شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- كتابه المشهور كشف الشبهات، فجاء بقتال الصحابة للمرتدين، وجاء لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه لِمَنْ غَلوا فيه، وجاء بقتال بني عُبيد القَدّاح الْمُسمين بالفاطميين، وهكذا.

فبيّن بالأدلة الواضحة الصريحة بأن مَنْ كَفَر وتَنكّب عن دين الله فإن حُكمه القتل أو المقاتلة.

الثانيـة: أنهـم متفرقـون في ديـنهم، كمـا قـال تعـالىٰ: ﴿كُـلُّ حِـزْبٍ بِمَـا لَـدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وكذلك في دنياهم، ويرون أن ذلك هو الصواب.

فأتىٰ بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]، وقال تعالىٰ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ونَهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لأن دين الله -عز وجل- لا يقوم إلا بالاجتماع، واجتماع الناس علىٰ الدين ما يكون إلا باجتماع القلوب واجتماع الأبدان.

فإذا افترقت القلوب والأبدان فإنهم سوف يفترقون في القيام بدين الله -عز وجل-.

فالفُرْقة والاختلاف والنزاع والتدابر والتهاجر كل ذلك ليس من شأن دين المسلمين، وإنما هو من دين أهل الجاهلية.

وأما دين أهل الإسلام: فهو الاجتماع.

وأَمْر الجماعة عليه قوام الدين؛ ولذلك أهل السُّنة يقال عنهم: أهل السُّنة والجماعة.

والإسلام دين جماعة؛ جهادهم تحت راية، جُمعتهم تحت راية، حَجّهم تحت راية، يُصَلّون الجماعة، قِبلتهم واحدة، مصدرهم كتابٌ وسُنّة واحد، جماعتهم واحدة؛ فَهُم لا يختلفون أهل الإسلام، ولا ينبغي لهم أن يختلفوا، فإن هذا من شأن دين الجاهلية الذين

هُم ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ونبّه الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- علىٰ مسألة الجماعة، وسيأتي لماذا ذَكَر أَمْر التوحيد وأَمْر الجماعة، وما سيأتي معنا في المسألة الثالثة من السمع والطاعة؛ لأهمية هذه المسائل الثلاث، وفيها جاء نَصٌّ عن النبي ﷺ.

الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة لـه ذُل ومهانـة، فخـالفهم رسـول الله ﷺ وأَمَـرَ بالصـبر علىٰ جـور الـولاة، وأَمَـرَ بالسـمع والطاعة لهم والنصيحة، وَغَلَّظَ في ذلك وأبدىٰ فيه وأعاد.

وأحاديث السمع والطاعة كثيرة، والإمام مسلم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في كتاب الإمارة من صحيحه ذَكَر العديد من الأحاديث الواردة عن النبي عليه الصلاة والسلام بالسمع والطاعة؛ لأنه إن تَقرر أن الإسلام دين جماعة فلا جماعة إلا بسَمْعٍ وطاعة.

وعلىٰ هذه الثلاث يقوم دين الإسلام.

وشيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- كما نَبّه عليها هنا في هذه الرسالة كذلك نَبّه عليها في أكثر من موطن؛ منها: في ستة الأصول، وبَيّن من عجائب العُجاب، وقُدرة الملك الغَلّاب -سبحانه وتعالىٰ- كيف الناس انحرفوا في ذلك، فجعلوا التوحيد قَدْحًا، وجعلوا الشرك مَدْحًا، جعلوا التفرق مَدْحًا، وجعلوا الجماعة قَدْحًا، قال: حتىٰ لا يطلب الجماعة إلا رجل زنديق أو مجنون.

يعني الآن لو يقوم شخص ويقول: (أيها الناس! اجتمعوا علىٰ مذهبٍ واحد وعلىٰ عقيدة واحدة)، قالوا: أنت مجنون، تريد أن تجمع الحنابلة والشافعية والمالكية والطوائف والفِرَق علىٰ مذهب واحد؟!.. نعم يجمعهم علىٰ مذهب واحد، علىٰ مذهب محمد ﷺ، أين المشكلة؟!

فأصبح الآن مَنْ ينادي إلىٰ جَمْع الناس إلىٰ الكتاب والسُّنة يُتّهم إما بالزندقة، ويُتّهم بالجنون.

كذلك من انقلاب الموازين -وهي إحدىٰ المسائل في ستة الأصول- السمع والطاعة، وضدها الخروج ومنازعة ولاة الأمر.

فأصبح الذي يُنازِع ولي الأمر ويخرج عليه يُمدَح ويُثنىٰ عليه، ويقال بأن فلان لا تأخذه في الله لومة لائم، والذي يسمع ويُطيع يُعاب ويُقدَح في دينه، ويقال بأنه مُتَزَلِّف أو منافق، أو ذنب للحُكّام، أو ما شَابَه ذلك من التّهَم الذي يلقيها هؤلاء والعياذ بالله تزييفًا للحق، وزخرفة للباطل.

فهذه المسائل من أعظم المسائل التي بَيّنها شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، وجاءت في حديث النبي ﷺ الآتي ذِكْره إن شاء الله.

"وهذه الثلاث هي التي جُمِعَ بينها فيما صح عنه في الصحيحين أنه ﷺ قال: «إِنَّ الله يَرْضَىٰ لَكُم ثلاثًا؛ أن تعبدوه ولا تُشْرِكوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرّقوا، وأن تُنَاصِحوا مَنْ وَلّاه الله أمركم» أخرجه مسلم".

وهذا من جوامع كلم النبي ﷺ؛ **«إِنَّ الله يَرْضَىٰ لَكُم ثلاثًا؛ أن تعبدوه ولا تُشْرِكوا به شيئًا»** التوحيد بالله -سبحانه وتعالىٰ-، **«وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرّقوا، وأن تُنَاصِحوا مَنْ وَلّاه الله أمركم»**.

"ولم يقع خَلَلٌ في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها".

وقد نَبّه عليها الشيخ في ستة الأصول، هذه الثلاث ذَكَرها شيخ الإسلام في ستة الأصول لأهميتها.

الرابعة: أَنّ دينهم مَبْنِي علىٰ أصولٍ أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرىٰ لجميع الكفار أولهم وآخرهم.

والربط بين مؤلفات شيخ الإسلام يفيدك في إيضاح الكثير من المعلومات، فذكرت لكم قبل قليل بأن التقليد من المسائل التي جاء الشيخ محمد في منابذتها.

وهذه المسألة بذاتها ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في ستة الأصول.

وأن هناك من الناس مَنْ ينادي إلىٰ التقليد ويحارب الاتّباع، ويقول: لا تنظروا في الكتاب والسُّنة، ولا ينظر في الكتاب والسُّنة إلا مَنْ كان لديه كذا وكذا من الأوصاف قد لا توجد كاملة في أبي بكر وعمر رضي الله تعالىٰ عنهما.

فالتقليد الذي هو التعصب المذموم هذا محله محل ضلال والعياذ بالله، بحيث أن هناك في تنحية للكتاب والسُّنة، والنظر فيهما والاستفادة منهما.

ويتجه إلىٰ مقالات الناس، ويجمد علىٰ أرائهم، ويترك ما أنزل الله تعالىٰ، وهذا – والعياذ بالله– من البلاء العظيم، بل أول خطوات الضلال الدعوة إلىٰ التقليد، يريد –كما يقال في العبارة الدارجة العصرية–: يريد أن يسيطر علىٰ عقلك، فإذا سيطر علىٰ عقلك استطاع أن يتحكم فيك.

لكن عندما ينفد الإنسان بعقله إلىٰ الوحيين (إلىٰ الكتاب والسُّنة) وينظر ماذا قال السلف الصالح، عند ذلك لا ينقاد؛ لأن التقليد نوعٌ من الانقياد، كما قال الشاعر:

لا فَـــرْق بـــين مُقَلِّـــد وبهيمـــة تَنْقـــاد بَـــيْن دَعَـــاثِرٍ وَجَنَـــادِل

فالْمُقَلِّد بهيمة؛ يُحَلّل ما حَلّله ويُحَرّم ما حَرّمه، كأنه قد ربطوا في طوق عنقه حبلًا يقودونه كيف شاء، لكن المؤمن لا؛ لا يُقَلّد، وإنما يَتّبِع، ولكن ينبغي للإنسان أن لا يُفرِط ولا يُفَرِّط، فلا وَكَسَ ولا شَطط.

لا يعني نَبْذ التقليد أن ينخلع الإنسان من اتّباع العلماء والسير علىٰ خُطاهم، فلا بد للمرء المسلم وطالب العلم أن يَسْتَنّ بِسَنن العلماء، كما قال عبد الله بن مسعود: مَنْ كان

منكم مُسْتَنًّا فليستن بمَنْ قد مات؛ أولئك أصحاب محمد.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام عن الجماعة: «هُم مَنْ كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي».

لأن هناك من الناس مَنْ بالغوا في ذَم التقليد وعدم اعتبار العلماء وأن لا نُسَلّم عقولنا لهم حتىٰ انخلع من أهل العلم بالكُلّية، وأصبح هو الذي ينفرد بنصوص الوحيين، ويأتي بفهوم ما فهمها العلماء، ويأتي بأحكام ما أتىٰ بها العلماء!

فنقول: لا وَكَس ولا شطط، ولا إفراط ولا تفريط؛ لا نُهمِل، لا نجمد علىٰ آراء العلماء واختياراتهم ونَدَع الكتاب والسُّنة، ولا ننخلع من السَّيْر علىٰ خُطىٰ العلماء واحترام ما هم عليه من مذهب، وما قالوه من اجتهادات، ونعلم يقينًا بأنهم ما قالوا ذلك بالهوىٰ، وإنما قالوه بأدلة من الكتاب والسُّنة، إن أصابوا فَلَنا ولهم، وإن أخطئوا فإن شاء الله هم بين الأجر والأجرين، والله تعالىٰ قد جَعَل الحجة في كتابه وفي سُنّة النبي ﷺ.

"كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] الآية.

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

الخامسة: أنّ مِن أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به علىٰ صحة الشيء، ويستدلون علىٰ بُطلان الشيء بِغُرْبته وَقِلّة أهله، فأتاهم بضد ذلك، وأوضحه في غير موضعٍ من القرآن.

الاغترار بالكثرة من أساليب أهل الكُفر، ويتّهمون أهل الحق بالشذوذ، ولكن الكلام في الكثرة إنما هو مقرون بموافقة الحق أو مخالفته.

فإن عُورِض الحق بدعوىٰ الكثرة فلا عِبرة بالكثرة؛ لأن مجرد الكثرة والقِلة لا تدل علىٰ حقٍّ ولا علىٰ باطل، حتىٰ يُنظَر فيما تُعارِض.

فإن عارضت الكثرة الحق فلا عبرة بها، ولا يُغَيَّر أهل الحق علىٰ قِلّتهم.

والله تعالىٰ قد ذَكَر الكثرة في سياق الذم في أكثر من موطن:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا (٣)﴾ [العصر: ١-٣] فاستثنىٰ الله تعالىٰ مَنْ استثنىٰ.

فإذا عُورِض الحق بالكثرة فلا عبرة بالكثرة، وإذا عِيْب الحق بالقِلّة لا يُعاب به عند ذلك؛ لأن القِلّة تكون علىٰ الحق.

ولكن إذا كانت الكثرة علىٰ الحق يُفرَح بها أو لا يُفرَح بها، يُحتَجّ بها أم لا؟

قال: «**فالزم جماعة المسلمين**» فَحَثّ علىٰ الكثرة.

قال: «**يَدُ الله مَعَ الجماعة، ومَنْ شَذّ شَذَّ في النار**» فدَلّ علىٰ أن الشذوذ ممقوت، متىٰ يكون الشذوذ ممقوتًا؟

إذا كان فيه مخالفة للحق؛ ولذلك قال: «**الزم جماعة المسلمين**»، قال: «**عليك بالسواد الأعظم**»، والسواد الأعظم كَثرة، يعني لا تَتَّبِع الشذوذ.

ما المراد بالشذوذ والقِلة هنا؟

المخالِفة للحق.

فإن كانت القِلّة مخالفة للحق فهي شذوذ، وإن كانت القِلّة موافقة للحق فهي ليست بشذوذ وإنما هي حق وغُرْبة، وعلىٰ ذلك كان دين الأنبياء.

لذلك يقال بأن مجرد القِلّة والكثرة لا تدل علىٰ موافقةٍ للحق ولا مخالفة له، حتىٰ ننظر علىٰ ماذا هُم عليه، فإن كانوا علىٰ الحق فكثرتهم قُوّة وعِزّة ونَصْر، والمخالِف لهم شاذ.

وإن كانوا القِلّة علىٰ الحق فقِلّتهم غُربة، ومخالِفة لِمَا عليه أكثر الناس، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين كقولـه: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وكذلك **"الاحتجاج بالمتقدمين"** القـول فيـه كـالقول في الاحتجـاج بـالكثرة والقِلّـة؛ فـإن كـان الحـق فَـنَعَم نحـتج بالمتقـدمين، كمـا نقـول الآن: هـذا لـيس عليـه مـذهب السـلف الصالح.

فعندما يـأتي شـخص بدعـة كالمولـد النبـوي ومـا شـابهه، فتقـول: هـذا لـم يفعلـه السـلف الصالح، ماذا صنعت أنت الآن؟

احتججت بالمتقدمين.

هل وقعت في هذه الآفة؟

لا؛ لم تقع في هذه الآفة.

فإذًا مجرد الاحتجاج بالمتقدمين لا يُعاب إلا إذا كـان في نُصـرة الباطـل، وأمـا إذا كـان في نصرة الحق فإنه حُجّة، قال: «**عليكم بسُنّتي، وسُنّة الخلفاء الراشـدين المهـديين مـن بعـدي**»، فيسير الإنسان علىٰ خُطىٰ السلف الصالح «**مَنْ كان منكم مُستنًّا فليستن بمَنْ قد مات**».

فلا بـأس أن يسـتن الإنسـان بسُـنن المتقـدمين، وأن يحـتج بهـم في إبطـال مـا يحـدث مـن محدثاتٍ وبِدَع.

فإذًا الاحتجاج بالمتقدمين ليس علىٰ إطلاقه، محله محل إنكار، وإنما يُنظَر في مـاذا كـان عليهم المتقدمون؛ فإن كان المتقدمون علىٰ الحق فإنه يُحتَجّ بهـم، وإن كـان المتقـدمون علـىٰ الباطل فإن الاحتجاج بهم هو من شأن أهل الجاهلية.

"**السابعة**: الاستدلال بقوم أُعْطوا قُوىٰ في الأفهام والأعمال، وفي الْمُلْك والمال والجاه، فَرَدّ الله ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية، وقوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] الآية".

هذا من أساليب أهل الجهل وأهل الجاهلية؛ الاحتجاج علىٰ بُطلان الحق بأنه ما يتّبعه إلا الضعفاء استهجانًا واستحقارًا، وإلا ما علاقة الضعف والقوة والغِنىٰ والفقر بموافقة الحق أو معارضته؟.. العِبرة باتّباع ما أُنزل من الله -عز وجل-، هذه هي الحجة.

وأما أمثال هذه الأمور فإنها لا تُقَرِّب من الحق ولا تُبعِد عنه.

فكم من صاحب مالٍ هو بعيد عن الله -عز وجل-، وكم من صاحب مال هو من أنصار دين الله -سبحانه وتعالىٰ-، وكم من فقيرٍ هو عدو لله -عز وجل-، وكم من فقير هو من أولياء الله -سبحانه وتعالىٰ-.

فمعارضة الحق بالضعف والقِلة والفقر ودُنُو المنصب وما شَابَه ذلك كل ذلك من الأمور التي هي من أساليب أهل الجاهلية.

الثامنة: الاستدلال علىٰ بُطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وهذا واقع، كل هذا الكلام الذي يُقرَأ يا إخوان هو واقعٌ فينا اليوم، لو تنظرون، هي من دين الجاهلية التي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام وهي قاعدة كلية نَبّه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وجماعة من أهل العلم، «لَتَتّبعن سَنَن مَنْ كان قبلكم، حَذْو القُذّة بالقُذّة» القُذّة: ريشة السهم، هذه الريشة هنا وهذه الريشة هنا، لا بد أن تكون الريشة متساوية، «حَذْو القُذّة بالقُذّة»، وفي رواية: «حَذْو النعل بالنعل» لن تلبس نعلين مختلفين، لا بد أن تكون متساوية في الارتفاع، وفي المقاس، وفي الحجم، كذلك نحن سوف نسير علىٰ ما كان عليه اليهود والنصارىٰ، مَنْ زَلّ منّا من هذه الأُمّة سوف يسير علىٰ ما سار عليه اليهود والنصارىٰ حَذْو القُذّة بالقُذّة، حتىٰ جاء في الحديث: «ولو كان منهم مَنْ أتىٰ أُمّه علانية سيكون في هذه الأُمّة مَنْ يأتي أُمّه علانية» والعياذ بالله.

فهذا يدل علىٰ أن هذه الصفات والسمات تسمعونها اليوم وترونها وطَبّقوها في حياتكم، تجد شخص يقول: أنت يا فلان هذا أزكىٰ منك، هذا أفهم منك، هذا أفصح منك، هذا أبلغ منك، هذا مشهور، هذا وزير، هذا أمير، هذا عضو، هذا كذا، يأتيك بألقاب، هذه الألقاب لا يُنظَر لها..

العبرة هل وافق ما جاء عن الله وعن رسول الله؟

نعم، لذوي الهيئات مكاناتهم، ولذوي الرُّتَب قَدْرهم، ولكن لا يعني ذلك أن تحتج به علىٰ مخالفة الحق كائنًا مَنْ كان، العبرة بموافقة الحق، فإن وافق الحق فهو المصيب، ولو كان من أدنىٰ الناس، ومَنْ خالف الحق فهو المخطئ ولو كان من أعلىٰ الناس.

فهذه الرُّتَب أمورها دنيوية، لا علاقة لها بموافقة الحق أو مخالفته؛ ولذلك مع جلالة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما –وهُما مَنْ هما– لَمّا خُولِف ابن عباس في مسألةٍ من المسائل

بقول أبي بكر وعمر قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: (قال رسول الله)، وتقولون: (قال أبو بكر وعمر)؟!

وعبد الله بن عمر لَمَّا قيل له: إنّ أباك عمر بن الخطاب يقول كذا، قال: سُنّة النبي خيرٌ من سُنّة أبي؛ فَقَدّم سُنّة النبي ﷺ.

فالاحتجاج بالكثرة وقوة الفهم والوظائف والمناصب والرُّتَب والقوة؛ كل هذه الأمور لا يُلتفَت لها في مخالفة الحق.

فمَنْ احتجّ علينا في مخالفة شَرْع الله -عز وجل- بأمثال هذه الأمور نقول: وقعت فيما وقع فيه أهل الجاهلية.

"وقوله: ﴿أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] فَرَدّه الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

التاسعة: الاقتداء بِفَسَقة العلماء والعُبَّاد، فأتىٰ بقولـه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

ضَعْ خطًّا تحت قول الله تعالىٰ: ﴿كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٣٤].

والأحبار: هُم العلماء.

والرّهبان: هم العُبّاد.

يعني كثير من علماء وعُبّاد بني إسرائيل يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله.

إذا طَبّقنا هذه الآية مع القاعدة النبوية التي تقول: «لَتتّبعُنّ سَنَن مَنْ كان قبلكم» ما النتيجة؟

سمعت أحد الإخوان يقول: الله المستعان.

بماذا شعرت؟

بأن سيكون هناك عندنا علماء وعُبّاد وليسوا قليل، بل كثير، يعني سيكون في أُمّة محمد كثير ممَّنْ يَدّعون العلم والعبادة، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن دين الله! هذا كلام الله، هذه القاعدة النبوية «لتتبعُنّ سَنن مَنْ كان قبلكم».

فلا تستغرب أن تجد هناك..

ولذلك قال النبي ﷺ قال: «إنّما أخافُ علىٰ أُمّتي الأئمة الْمُضلّين»، أئمة: سواء كانوا قُدوة في العبادة، أو قدوة في العلم، لكنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن دين الله، وعن سبيل الله! نسأل الله السلامة والعافية.

"وبقوله: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

العاشرة: الاستدلال علىٰ بُطلان الدين بقِلّة أفهام أهله وعدم حفظهم كقولهم ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

استحقارٌ واستهجان؛ هذه من أساليب أهل الجاهلية.

وكما تقدم معنا أن هذه الأمور لا تُقَدِّم ولا تُؤخِّر، العبرة بموافقة الحق.

ولذلك لَمّا خُوصِم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بكلام بعض معاصريه وأنه حاذق، بليغ، حافظ، وقد استخرج من سورة الغاشية كذا وكذا من أوجه البلاغة والبيان، ثم ماذا؟.. رَفَع الله ذِكْر محمد بن عبد الوهاب وخَفَض ذِكْر هذا الرجل الآخر المعارض له؛ فدلّ ذلك علىٰ أنه لا عِبرة بكثرة المحفوظات، ولا بكثرة المقروءات، ولا بكثرة المقتنيات من الكتب، ولا بِعُلّو الرُّتَب إلا بدين الله -عز وجل-.

فمَنْ جاء دين الله فما أحلىٰ كل وَصْفٍ جميل يأتي من بعد ذلك.

وما يُستقبَح به أي نَقْصٍ يحصل عليه؛ من فقر، من قِلّة كُتُب، من سوء حِفْظ؛ هذا لا يعيبه، العبرة أنه علىٰ دين الله -سبحانه وتعالىٰ-، مستقيم علىٰ أَمْر الله -عز وجل-.

الحادية عشرة: الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وما هذا إلا بشر مثلكم، والقياس الفاسد آفة، بل هو طاغوت من الطواغيت التي يُصَدُّ بها عن دين الله -عز وجل-، حتىٰ قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: (أول مَنْ قاس: إبليس؛ قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦])، فبدأ بالمقايسة بين أصل خِلْقة آدم وأصل خِلْقة الجان أو إبليس.

فالقياس الفاسد هو بلاء من البلاءات التي يُبتلَىٰ بها الإنسان، وقد ذَكَر ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في مختصر الصواعق أنه من الطواغيت التي يُتلاعَب بها في دين الله -عز وجل-.

وأما القياس الصحيح فهذا من أصول الشرع، ومن أصول الاستدلال عند الفقهاء في كتاب الله -عز وجل-، وسُنّة النبي ﷺ.

الثانية عشرة: إنكار القياس الصحيح.

والجامع لهذا وما قبله: عدم فَهْم الجامع والفارق.

والجامع والفارق هذا يُدرَك بمعرفة أركان القياس، وأنواع العلة، والقوادح في العلة؛ وهذا باب عظيم من أبواب الفقه الإسلامي وأصول الفقه، فلا بد للشخص أن يعرف أصول القياس وفقه القياس الواردة في الكتاب والسُّنة، وكيف يُطَبِّقه، وما هي موانعه، وما هي القوادح في العِلّة؛ حتىٰ يُطَبِّق القياس علىٰ الوجه الصحيح، وما هي أركان القياس من أصل وفرع وعِلّة وحُكم؛ فلا بد أن يعرفها الإنسان حتىٰ يُطَبِّق القياس علىٰ وجهه الصحيح.

وعامة مَنْ قاس بأمثال هذه الأقيسة الباطلة لا بد وأن يكون هناك فيها قادح لسوء المعرفة في الجامع والفارق بين الْمَقيس والْمَقيس عليه.

الثالثة عشرة: الغُلُوّ في العلماء والصالحين، كقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

والغُلُو له صُوَر، وقع في أُمّة محمد غُلو في الصالحين في صُوَرٍ عِدّة؛ منها: صَرْف شيء من أنواع العبادة لهم، ككثير من الغُلاة المتصوفة، الذين يصرفون أنواعًا من العبادة إلىٰ الصالحين، بل ربما نسبوا إليهم غُلُوًّا وإطراءً بعض صفات الربوبية؛ من التصرف في الكون وعِلْم الغيب، وما شَابَه ذلك، فهذا ضَرْب من أضرب الغلو التي وقع في أُمّة محمد، وقد وقعت فيه الأمم السابقة.

أيضًا من الغُلو: التعصب لهم، والتقليد، والجمود علىٰ آرائهم، حتىٰ جعلوهم يُضاهون كلام الله وكلام الرسول ﷺ! بل ربما منهم مَنْ يُقدم قول إمام المذهب علىٰ كلام الله وكلام الرسول ﷺ! وهذا والعياذ بالله من الضلال العظيم، هذه صورة من صُوَر التعصب لهم.

كذلك من صُوَر التعصب لهم: طاعتهم في مخالفة أَمْر الله -عز وجل-، وأَلّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، عَقَدَ بابًا (باب طاعة العلماء، والأمراء في تحليل ما حَرّم الله، أو تحريم ما أَحَلّ الله) فَدَلّ ذلك علىٰ أن هذا من صُوَر الغلو في الصالحين.

هناك كتاب اسمه تقديس الأشخاص، في الفكر الصوفي، ذَكَر عجائب يَقف له الشعر من البلاء والعياذ بالله من صُوَر الغلو في الأشخاص، حتىٰ وصفوهم بصفات الربوبية من الخَلْق والإيجاد والإحياء والإماتة وعِلْم الغيب والتصرف في الكون، وتقطيع الجنة أقطاعًا لِمَنْ يريدون من الأتباع! وغير ذلك من البلاء والعياذ بالله.

وهذا في أُمّة محمد، ينتسبون إلىٰ أُمّة محمد!

والمراد: إذا تكلم أهل العلم عن أُمّة محمد، عموم الأُمّة، المعنىٰ العام: أُمّة الإجابة، أو أُمّة الدعوة، فكل مَنْ جاء بعد النبي عليه الصلاة والسلام سترىٰ بعينك ما وقع فيه اليهود والنصارىٰ والأُميون من قبل، ما وقعوا فيه تجده اليوم واقع، إما من أُمّة الإجابة، أو أُمّة الدعوة.

الرابعة عشرة: أَنّ كل ما تقدم مبني علىٰ قاعدة وهي النفي والإثبات، فَيَتَّبِعون الهوىٰ والظن ويُعرضون عما جاءت به الرسل.

مبنية علىٰ هذا المبدأ، انقلاب المفاهيم؛ لذلك يقولون: في كل أصلٍ منها (ثم لَمّا صار، ثم لَمّا صار، ثم لَمّا صار)، فانقلب الحق باطلًا، والباطل حقًّا.

فـ النفي والإثبات: أي أنهم ينفون ما أَمَرَ الله به، ويُثبتون ما نَهَىٰ الله عنه.

فالذي يأمر الله به ينفونه، التوحيد ينفونه، اتّباع السُّنة ينفونه، القياس الصحيح ينفونه، ويُثبتون الضد من ذلك؛ يُثبتون الشرك، يُثبتون البدعة، يثبتون الخروج، يثبتون الفُرقة، يثبتون القياس الفاسد.

فمدار ما تقدم معنا من مسائل يدور علىٰ النفي والإثبات، فينفون ما أَمَر الله به، ويُثبتون ما نهىٰ الله عنه والعياذ بالله، وهذا من انقلاب المفاهيم.

الخامسة عشرة: اعتذارهم عن اتّباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، فَأَكْذَبهم الله وبَيّن أن ذلك بسبب الطبع علىٰ قلوبهم، وأن الطبع بسبب كُفرهم.

كما يقال في الألفاظ العصرية: فهذه نتيجة عكسية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]؛ فَهُم لكُفْرهم طَبَع الله علىٰ قلوبهم، فلمّا طَبَع الله علىٰ قلوبهم ازدادوا كُفْرًا والعياذ بالله، فهؤلاء ازدادوا كُفْرًا وإعراضًا عن دين الله.

ولذلك الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] لأنهم كفار أصلًا.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] فَهُم يتعللون بأننا لا نفهم.

هل هذا واقع؟

واقع، وكلٌّ بقدره وبحسب حاله، فمن حُجج أهل الجاهلية أننا لا نفقه كثيرًا مما تقول، لا نفهم كلامك؛ هذا اليوم واقع، تقول بعض الناس، حتىٰ بعض الصلحاء، اقرأ عليهم صحيح البخاري يقول: الناس ما يفهمونه، صحيح مسلم، يقول: الناس ما يفهمونه، كتاب التوحيد، هذا صعب، دعوه للعلماء، العوام ما يفهمونه!

فحَجَبوا العوام عن كتاب الله وعن سُنّة رسول الله!

يا أخي! هَبْ أن الذي يتكلم هو رسول الله، ورسول الله ﷺ تكَلّم للرجل والمرأة والكبير والصغير والعالم والجاهل، وأنت تأتي وتصد الناس عن دين الله، بحُجة أنهم لا يفهمون؟!.. هذه حجة المشركين (ما نفقه كثيرًا مما تقول)، بل دع الناس مع كتاب الله وسُنّة النبي ﷺ..

نعم إن كان هناك من شيء يُشَوِّش أذهانهم ويغلظ عليهم أن يفقهوه بَيّن لهم، أو أعرض عنهم –كما هو أصل عند أهل العلم–.

أما أن تقول للناس: لا تقرءوا في صحيح البخاري، أنتم لن تدركوه، ولا تقرءوا في صحيح مسلم، ولا تقرءوا في السنن، ولا في المسند، ولا في تفسير ابن كثير، ماذا يقرءون إذًا؟!

دعهم يقرءون، هذا علم من كلام الله وكلام النبي ﷺ، بل منهم مَنْ يقول: لا تقرأ كلام الله فإن ظاهره أصل الكفر، هكذا يقول بعض المنحرفين والعياذ بالله.

فإذا كنت تحجبهم عن كتاب الله وتحجبهم عن سُنّة رسول الله، تريدهم يقرءون لِمَنْ ويستمعون لِمَنْ؟!

حتىٰ ينفرد هؤلاء الضُّلّال بالمساكين العوام، الهمج الرعاع، أتباع كل ناعق، فيصرفونهم عن دين الله -عز وجل-.

فصحيح البخاري كأن شخص النبي ﷺ بيننا اليوم يتكلم.

فدَع العامة يقرءون، يعيشون مع النبي عليه الصلاة والسلام، يأخذون أوامره ويجتنبون نواهيه، ويحكون سيرته، وينظرون كيف يتعامل مع الجيش، ومع الأسرة، ومع الأبناء، ومع الكبير، ومع الصغير، وإن غَلُظ عليهم شيء الله تعالىٰ أعطىٰ المسلمين قاعدة؛ قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والنبي عليه الصلاة والسلام تَكَلّم بكلام مع أصحابه، منهم مَنْ فَقِه ومنهم مَنْ لم يفقه، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «رُبّ حامل فقه ليس بفقيه»، «رُب حامل فقه إلىٰ مَنْ هو أفقه منه».

فكم سمع أصحاب النبي ﷺ من كلام، منهم مَنْ فَقِهه، ومنهم مَنْ لم يفقه كلام النبي عليه الصلاة والسلام، ولا عيب ولا تثريب.

المهم أن لا نصد الناس عن كتاب الله، ولا عن سُنّة النبي ﷺ تحت هذه الدعوة الجاهلية؛ أنهم لا يفقهون كلام الله وكلام الرسول ﷺ.

السادسة عشرة: اعتياضهم عما أتاهم من الله بكُتب السحر.

واليوم اعتاضوا عمّا أتاهم الله بكُتُب الفِكْر، تركوا كتاب الله، وتركوا سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، وأتوا بكُتب الفكر والمفكرين، والكتب التي فيها هَدَر الكلام وقِلّة الفائدة.

والأدهىٰ والأَمَرّ الذي يأتي بكُتب الزنادقة والملاحدة والفلاسفة، فتجد الإنسان يزهد أن يُغَرِّد بآية، ويزهد أن يُغَرِّد بحديث، ويزهد أن يُغَرِّد بأثر عن السلف الكرام، ويأتي عن فيجارا وعن أينشتاين، عن شكسبير، ويرىٰ بأنه صاحب أُبّهة، وصاحب دراية حتىٰ يقول الناس: ما أوسع اطّلاعه، ما أوسع أُفقه! قَبّحه الله من أُفق، وقَبّحه الله من اطّلاع.

تزهد في كلام الله وكلام الرسول ﷺ والسلف الصالح، وتأتي بكلام أينشتاين وفيجارا وشكسبير؟! هؤلاء من حُثالة خَلْق الله.

قد يقول قائل: يا أخي! قد يكون كلام حق.

نقول وهي قاعدة: والله ما من حق نَطَق به مخلوق في الوجود إلا وهو في كتاب الله أو في سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، عَلِمه مَنْ عَلِمه، وجَهِله مَنْ جَهِله، فلا تُقَدِّم علىٰ كلام الله وعلىٰ كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا من حيث الأصل.

كيف وهؤلاء زنادقة وفُجّار، ولهم مقاصد قبيحة؟

بل كيف؟ في هذا اتّهام لدين الله -سبحانه وتعالىٰ-، حقٌّ ينطق به أينشتاين وفيجارا ما ينطق به الله -عز وجل-؟ ولا ينطق به رسول الله ﷺ؟!

هذا اتّهام لكتاب الله، المهيمن علىٰ كل الكتب السماوية، التبيان لكل شيء.

كيف يقول إنسان: هذا حق ولم أجده في كتاب الله؟!

لكن أعمىٰ الله بصائر هؤلاء القوم عن كتاب الله حتىٰ عكفوا علىٰ أمثال هذه المقالات، ومنهم مَنْ في نفسه دفينة خسيسة؛ وهو إيهام الناس بأنه واسع الاطّلاع، وزُهْد في كتاب الله،

ومَنْ وقع في مثل هذا كثيرٌ من الناس، انحرفوا –والعياذ بالله– ووقعوا في مذاهب الليبراليين والزنادقة من أمثال هذه الكتب والنَّقل عنها.

"كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ (١٠٢)﴾ [البقرة: ١٠١- ١٠٢].

السابعة عشرة: نسبةُ باطلهم إلىٰ الأنبياء كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

والأقبح منه: ما سيأتي في الكلام علىٰ القول علىٰ الله بغير عِلْم.

هناك مَنْ نَسَب باطله إلىٰ الله، وقال: أَمَرنا الله، والله أمرنا بها!

﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].

فبعض الناس ينسب الحق* إلىٰ الله، وينسب الحق* إلىٰ رسول الله وإلىٰ الأنبياء، مثل ما حصل للسحرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]، فنسبوا السحر إلىٰ سليمان، ونسبوه إلىٰ عيسىٰ، ويقولون: "عصا موسىٰ السحرية!" موسىٰ عصاه ليست سحرية، موسىٰ عصاه إلهية معجزة من الله -سبحانه وتعالىٰ-، قَلَبها ثعبانًا، وهذا منكر، وقد كَتَب فيه شيخنا الشيخ حمود التويجري مقالًا، نُشِر في الصحف، بأن من العبارات المنكرة أن يقال: عصا موسىٰ السحرية.

فمن أساليب أهل الباطل: نسبة باطلهم إلىٰ الأنبياء.

والله تعالىٰ قد أبطل ذلك، قالوا: بأن إبراهيم يهودي، أو قالوا بأنه نصراني، يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

قالوا بأن سليمان ساحر، وعَلّمنا السحر، يقول: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

فمن أساليب أهل الباطل نسبة باطلهم إلىٰ أهل الحق.

كذلك يقول: هذا قول ابن تيمية، هذا قول محمد بن عبد الوهاب، هذا قول أحمد ابن حنبل؛ وفي الحقيقة ما قال به لا أحمد ابن حنبل، ولا محمد بن عبد الوهاب، ولا غيره من أهل العلم، يريدون أن يَتَزَلّفوا للناس، وأن يُسَوِّقوا باطلهم بين الناس بأمثال هذه الافتراءات.

(*) كلمة (الحق) يظهر من السياق أنها سبقُ لسانٍ، والصواب: الباطل.
(*) كلمة (الحق) يظهر من السياق أنها سبقُ لسانٍ، والصواب: الباطل.

الحَلّاج الزنديق الذي هو مشهور في كتب التاريخ، قال: بأنه يجوز للإنسان أن يحج في بيته! شين وقوي عين، يكذب ولا يستحي.

قالوا: ما الدليل؟

قال: يحج في بيته، يعني يضع حجرة يعتبرها عرفة، وحجرة مزدلفة، وحجرة مِنىٰ، ويتنقل فيها بنيّة الحج، ويُعتبَر حاج! -- ((@ كلمة غير مفهومة- ٠١:٠٠:٤٢)) – أرأيتم ما يستحي الكذاب!

قالوا: ما الدليل؟

قال: (رُوّينا هذا في كتاب الإخلاص للحسن البصري)! انظروا نَسَبها مباشرة إلىٰ كتاب الإخلاص للحسن البصري.

فكان عنده في مجلس أبي عمرو القاضي، فقال أبو عمرو القاضي: يا حلال الدم تكذب؟! ها هو كتاب الإخلاص عندي، ليس فيه هذا الكلام.

فمن أساليب أهل الباطل..

لا تثق بنُقولاتهم حتىٰ تتثبّت؛ لأن من أساليب أهل الباطل أن ينسبوا ما قالوا به من باطل إلىٰ أهل الحق تسويقًا وترويجًا له بين الناس.

الثامنة عشرة: تَنَاقُضهم في الانتساب، ينتسبون إلىٰ إبـراهيم مـع إظهـارهم تَـرْك اتّباعه.

وهذا كثير:

هم يقولون: (نحن علىٰ مِلّة إبراهيم)؛ وفي الحقيقة هُم يُشركون بالله -عز وجل-.

وهناك مَنْ يقول: (نحن علىٰ ملة محمد ﷺ)؛ أنت تُحدِث في دين الله، تبتدع.

(أنا علىٰ طريقة الصحابة)؛ أنت تُخالفهم.

فكثير من الذين ينتسبون للفُضلاء والصُّلحاء والأنبياء إنما تَزَلُّفًا وتزييفًا، لا اتّباعًا وتحقيقًا؛ ولذلك هُم عند التحقيق يخالفون الأنبياء، ويُخالِفون الصلحاء، ويُخالفون العلماء، وإنما جعلوا النسبة لهم من باب التَّزَلُّف.

لذلك بعض الناس اليوم يقول: عليكم بالعلماء، عليكم بالعلماء، وفلان يطعن في العلماء، ونحن مع العلماء..

هل أنت مُتَّبِع لهم؟ هل أنت تسير علىٰ مناهجهم؟ هل أنت تأخذ بقولهم أم أن هذا مجرد تَزَلُّف أمام الناس؟ تُوهِم الناس بأنك علىٰ طرائق العلماء وأنت مخالف لسبيلهم.

فلا بد أن يُوافق الخُبْر الخَبَر، وأن يُوافق القول الفِعْل، وأنه حقيقةً مُتَّبِع للأنبياء، وأنه حقيقة مُتَّبَع للعلماء والصلحاء.

التاسعة عشرة: قَدْحهم في بعض الصالحين بِفِعْل بعض المنتسبين إليهم، كَقَدْح اليهود في عيسىٰ، وقَدْح اليهود والنصارىٰ في محمد ﷺ.

وهذا من الظلم في الحُكم علىٰ الآخرين، الحُكم علىٰ الطائفة بِزَلّات بعض أفرادها، فإن هذا من شأن الجاهلية، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا يُحكَم علىٰ الطائفة بِزَلّات بعض الأفراد إلا أن يكون إمامًا يُقتدَىٰ به ويَأْتَمّون، فإن اقتدوا به وائتمّوا به فيكون الجميع في الحُكم واحد.

لذلك الله تعالىٰ عَابَ اليهود بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء، مع أن القَتَلة كانوا من قبل، وعَابَ المتأخرين بقَتْل الأنبياء لأنهم رضوا ما فعله أئمتهم، ومَنْ كانوا يقتدون به؛ فكانوا كلهم شركاء في القتل.

فإذا كان هذا إمام في تلك الطائفة أو ذلك المذهب، وقال بتلك المقالة المنحرفة فإنه يقال: (هذا قول الجهمية، أو هذا قول المرجئة، أو هذا قول الخوارج) ونحكي القول عن واحد أو اثنين منهم، ولا يكون هذا من الحُكم علىٰ الجماعة، أو الطائفة بقول الشخص؛ لأن هذا إمام يُقتدَىٰ والجميع يقولون بقوله.

وأما إن وقع الزَّلل من أفراد الناس فإنه لا تُعاب الطائفة بقول الشخص الواحد.

هناك من المسلمين مَنْ يسرق فهل يُقال بأن أهل الإسلام أهل سرقة؟

هناك من المسلمين مَنْ يزني، هل يقال بأن أهل الإسلام أهل زنا والعياذ بالله؟

هذا من الظلم في الحُكم؛ بل دين الإسلام يُحَرِّم الزنا ويُحَرِّم السرقة.

العشرون: اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين، ونسبته إلىٰ الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام.

وهذا وقع من غُلاة الصوفية؛ غُلاة الصوفية يتعلقون بالسحرة، ويرون بأنهم علىٰ هُدىٰ، وأن ما يُجرَىٰ علىٰ أيديهم من خوارق أنها معجزات أو أنها كرامات؛ وهذا من الانحراف.

الحادية والعشرون: تَعَبُّدُهم بالمُكَاءِ والتَصدِيةِ.

وهذا واضح، أي "تَعَبُّدُهم بالمُكَاءِ والتَصدِيةِ"، واليوم الصوفية يَتَعَبّدون بالرقص والطبول والمزامير، فوقع في أُمّة محمد مثل ما وقع في الأمم السابقة ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

الْمُكاء: من إيكاء الشفتين.

ولذلك إيكاء السِّقاء: أي إغلاقه.

فالْمُكاء من إيكاء الشفتين؛ لأنه أَوْكَاها، أغلقها ثم نَفَخ فيها الهواء فطلع فخَرَج الصوت، فعند ذلك سُمّي مُكاءً، فالْمُكاء: هو التصفير.

والتصدية: إخراج الصدىٰ من ضَرْب الكف بالكف.

فكانوا يتعبدون حول البيت بأمثال هذه العبادات، فعَابَهم الله -عز وجل-.

اليوم هناك مَنْ ينتسب إلىٰ أُمّة محمد ﷺ، ويتقربون بأمثال هذه الأناشيد والأهازيج، والضرب بالدفوف، وما شَابَه ذلك مما يفعله الصوفية.

الثانية والعشرون: أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا.

وهذا يكون من جهتين، اتخاذ الدين لَهْوًا ولَعِبًا من جهتين، وهو واقع، أنهم يُحَلِّونه عامًا ويُحَرّمونه أعوام، مرةً يُحِلّون ومرةً يُحَرِّمون، هذا لعب بالدين، الحرام حرام.

ما حرّمتموه من قبل هو حرام اليوم، ما الذي أَحَلّه اليوم؟! هذا لَعِب بالدين.

فمن التلاعب بالدين: تحليل الشيء أو تحريمه عام في وقت، ومخالفة ذلك في وقت آخر.

ومن التلاعب بالدين: العمل بما يُراد، وتَرْك ما لا يُراد! أصبح الدين لعب، تأخذ ما تشتهي، وتترك ما لا تشتهي، تمتثل بالشرع في جانب، وتُهمِل الشرع في جانب آخر، هذا صار لعب، إن كنت جادًّا في الأَخْذ بدين الله فَخُذ دين الله كله.

الثالثة والعشرون: أن الحياة الدنيا غَرّتهم، فظنوا أن عطاء الله منها يدل علىٰ رضاه كقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

وهذا أيضًا لا يُعارَض به الحق، لا يُعارَض الحق بأمثال هذه الأقوال، بأن فلان أعطاه الله مالًا، أعطاه الله منصبًا، هذه نعمة من الله.

وما يُدريك أنها نعمة؟

قد تكون نقمة، قد يكون استدراج، وإملاء من الله -سبحانه وتعالىٰ-.

وكما تقدم معنا في القاعدة الكلية: أن العبرة بموافقة الحق، وكل ما عدا ذلك لا يُقَرِّب من الحق ولا يُبعِد عنه، فعطاء المال أو حَجْب المال هذا يُبتلَىٰ به المسلم ويُبتلَىٰ به الكافر، عطاءً وأَخْذًا.

الرابعة والعشرون: تَرْك الدخول في الحق إذا سَبَقهم إليه الضعفاء تَكَبُّرًا وأنفة.

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]الآيات.

«والكِبْر بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»، فيستحقرون الحق أنفةً وكِبْرًا في أنفسهم؛ لأنه اتّبعه الضعفاء.

"فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]الآيات.

الخامسة والعشرون: الاستدلال علىٰ بُطْلانه بِسَبْق الضعفاء، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

والتحريف قد يُراد به تحريف اللفظ أو تحريف المعنىٰ، ولعل مما يكون من مسالك أهل الجاهلية: العَبَث بمعاني القرآن الكريم، وإبعاد الآيات عن مراد الله ومراد الرسول ﷺ من حيث الأصل.

وهذا يكثر في الذين يتكلمون عن الإعجاز العلمي في القرآن؛ فَأَشْغَلوا الناس بِعَدّ الحروف وعَدّ الكلمات، وحساب الأباجاد، وما يُسمىٰ اليوم بـ(تَدَبَّر)، وشوارد المعاني، والآية جاءت في التوحيد، والآية جاءت في السُّنة، والآية جاءت في التحذير من قبيح الأخلاق، والحث علىٰ محاسن الأخلاق.

فيتركون المعنىٰ اللُّب، الأصل، الأساس، الذي خَاطبنا الله تعالىٰ به، ويبدءون يعدّون الأرقام، وحروف الأَباجاد، ويُقَدِّمون ويُؤخّرون ويأتون بالدلائل اللغوية حتىٰ يستنتجوا مثلًا من محاسن الأخلاق أو صفة من صفات التعامل مع البشر، أو معجزة من معجزات الأرقام، أن هذه الآية احتوت علىٰ كذا من الأرقام، والآية الفلانية احتوت علىٰ كذا من الأرقام، والآية الفلانية جاءت في النصف ما بين الآيات.

كل هذه الأمور لم يخاطبنا الله تعالىٰ بها، هذا قرآن مبين، هُدىٰ، بيان، واضح، الخطاب به علىٰ ما يظهر من النَّص.

وأما المعجزات الأُخَر –وإن كانت في الحقيقة مُعجزة، ولا تنقضي عجائب كتاب الله– لكن لا ينبغي أن يُشغَل الناس بدقائق الألفاظ، وعَد الحروف، وعَدّ الكلمات، وما يسمىٰ بالإعجاز العلمي ورَبْطه بالكون والفلك، ويتركون النّص الواضح المبين والدلالة الأهم من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، والأمر بالسُّنة والنهي عن البدعة، والحلال والحرام.

هذا يُهمَل حتىٰ أصبح الشخص عندما يقرأ علىٰ هواه؛ إما أن يقرأ لإعراب، إما أن يقرأ لمعرفة أسرار لغوية، أو معجزات رقمية، أو ما يسمىٰ بـ (تَدَبّر) فيأتي بقواعد كلامية وفِكرية معاصرة، ويَدَع الذي من أجله أنزل الله تعالىٰ القرآن، ومن أجله بَعَث الرسل.

السابعة والعشرون: تصنيف الكتب الباطلة ونِسبتها إلىٰ الله، كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

كما أن المفتي مُوَقِّع عن الله، كأنه يقول للناس: يا ناس! ربي حَلّل هذا، يا ناس! ربي حَرّم هذا! وكأنه يُوَقِّع عن الله؛ ولذلك ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَلّف كتاب إعلام الموقِّعين عن رب العالمين.

فالعلماء الذين يُفتون الناس كأنه يُوَقِّع عن رب العالمين، كأنه يقول: هذا حَلّله ربي، هذا حَرّمه ربي.

يا ويله إن كان قال: (حَلّله ربي) وربي ما حَلّله، أو قال: (حَرّمه ربي) وربي ما حَرّمه، يقال له يوم القيامة: آلله أَذِن لكم، أم علىٰ الله تفترون؟..

هذا افتراء علىٰ الله -عز وجل-.

أنت بنفسك لو كنت مدير دائرة وعندك موظف عند الباب يقول للناس: (المدير سمح، المدير منع، المدير أَذِن، المدير لم يأذن) وأنت والله ما أَذِنت له، ولا قلت هذا الكلام؛ ماذا تصنع به؟.. تُعاقبه أشد العقاب، مَنْ قال لك تقول عليّ ما لم أَقُل، وهذا بين مخلوق ومخلوق، فكيف بالله -عز وجل-؟!

يأتي شخص فيكتب كُتبًا ويُؤلِّف مؤلفات، ويقول: (هذا شَرْع الله، هذا مُراد الله)، لا تظنوا بأن التصنيف أَمْر سهل، التصنيف دين بين العبد وبين ربه -عز وجل-.

فإن أردت أن تتكلم في مسألة إما حلال وإما حرام في شَرْع الله -عز وجل- ثِق ثقة تامة أنك مُحاسَب بين يدي الله، تؤلف كتاب ثم تقول للناس: هذا دين ربي، هذا شَرْع ربي، هذا أَمْر ربي؟!

وما يُدريك أن هذا شَرْع الله إن كنت مُتَهَوِّرًا لست مالك الأهلية.

نعم، إن كنت طالب عِلْم أو عالم مجتهد وبَذَلْت الجُهد، وَسَبرت النصوص، ونظرت في الأدلة، وحكمت باجتهادك؛ فأنت بين الأجر والأجرين.

ومع ذلك ينبغي أن يكون طالب العلم في تقرير المسائل الاجتهادية تقرير الراجي الفضل من الله -سبحانه وتعالىٰ-، المتأمِّل، لا تقرير الْمُشَرِّع؛ الذي يتكلم وكأن الحق في قولي، وكل مَنْ خالفني فهو باطل.

ولذلك الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- لَمّا أفتىٰ في مسألة، فراجعوه، فأطرق برأسه، وقال: (إن نظن إلا ظَنّا، وما نحن بمستيقنين)، يعني هذا اجتهادي الذي أوصلني إلىٰ هذه المسألة.

نعم إن كانت المسألة قطعية يقينية، واضحة، جَلِيّة، كأصول التوحيد وأصول السُّنة وأصول الأحكام بَيِّن بوضوح، واجْزِم بالحُكْم بأن هذا حلال وهذا حرام، من الأدلة الواضحة كـ (حِل البيع والشراء، وحُرمة الربا)، ولكن إن كانت المسألة اجتهادية فلا تجزم بقولٍ إلا ببيّنة شرعية.

فكيف بالذين يُؤلّفون كُتبًا وهُم يخالفون أَمْر الله -سبحانه وتعالىٰ-، ويقولون للناس: هذا شَرْع الله؛ هذا والعياذ بالله من المنكر.

الثامنة والعشرون: أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، كقوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

هذا من التحزُّب وهو واقع اليوم؛ بعض الناس ما يقبل الحق إلا من طائفته وحِزْبه، ولا يقرأ إلا في ما كَتَبه أهل طائفته وحِزْبه، وهذا والعياذ بالله من شأن أهل الجاهلية.

طالب العلم والمؤمن الحكمة ضالته، أينما وجدها فهو أَوْلَىٰ بها.

التاسعة والعشرون: أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم، كما نَبّه الله تعالىٰ عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

يعني ينتسبونه، يقولون: نحن أتباع الأنبياء؛ فإن كنتم حقًّا أتباع الأنبياء لماذا تقتلونهم؟ لماذا تقتلون الأنبياء وأنتم تقولون: نحن أتباع الأنبياء؟!

فَهُم لا يعلمون أصلًا بأصول مذهبهم.

وهذا واقع كثير ممَّنْ ينتسبوا في الطوائف، وهذا يحصل في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مواطن عديدة، أنه يأتي بشيء من أقوالهم ينقض مذاهبهم، وهذا من الحِنكة في المناظرة؛ أن يكون الشخص علىٰ معرفة للفريق المخالِف، وما عندهم من أصول ومقالات؛ حتىٰ يضرب مقالات بعضهم ببعض، فينقض مذهبهم.

الثلاثون: وهي من عجائب آيات الله، أنهم لَمّا تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا ما نهىٰ الله عنه من الافتراق؛ صار كل حزب بما لديهم فرحين.

الحادية والثلاثون: وهي من أعجب الآيات أيضًا؛ مُعاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفئتهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لَمّا أتاهم بدين موسىٰ عليه السلام، واتّبعوا كُتُب السحر، وهي من دين آل فرعون.

وكذلك في أُمّة محمد، فَهُم ينتسبون للإسلام، وفي الحقيقة هُم يحاربون الإسلام، من غُلاة المتصوفة، وأهل الزندقة والضلال، يزعمون بأنهم ينتسبون للإسلام، وهُم يحاربون الإسلام، يُحاربون التوحيد، يُحاربون السُّنة، وهذا من التناقض.

الثانية والثلاثون: كُفْرهم بالحق إذا كان مع مَنْ لا يهوونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

وهذا من شأن الأمم السابقة، وكذلك وقع في هذه الأُمّة؛ أن هناك من الناس مَنْ لا يقبل الحق ممَّنْ لا يهواه ولا ينظر إليه.

المؤمن كما تقدم: الحكمة ضالته، أينما وجدها فهو أحق بها.

الثالثة والثلاثون: إنكارهم ما أَقَرّوا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الرابعة والثلاثون: أَنّ كل فِرْقة تَدّعي أنها الناجية، فأكذبهم الله بقوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ثُمّ بَيّن الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢].

كما زَعَم اليهود بأنهم أَحِبّاء الله.

الدَّعَاوَىٰ إِنْ لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا ... بَيِّنَاتٌ أصحابها أَدْعِيَاءُ

فهناك من الناس مَنْ يَدّعي بأنهم الفرقة الناجية، وأنهم أحباب الله، وأنهم أهل الإيمان أو المؤمنون، هذه الدعوة بالقول سهلة علىٰ كل أحد، ولكن يفصلها حقيقة الدين والاعتقاد والعمل، واتّباع ما جاء في كتاب الله وفي سُنّة النبي ﷺ.

الخامسة والثلاثون: التعبد بكشف العورات كقولـه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقيل بأن الفاحشة في الآية: كَشْف عوراتهم حول البيت، يكشفون عوراتهم حول البيت، ويتعبدون لله تعالىٰ بذلك؛ لأنهم يرون بأن هذه الثياب ثياب قد عصوا الله بها، وصارت نَجِسة، فيخلعونها ويطوفون بالبيت عُراة.

ولذلك لَمّا بَعَث النبي ﷺ أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب إلىٰ مكة قال: «**أن لا يحج البيت بعد هذا العام مُشرك، ولا يطوف به عريان**»، فكانوا يطوفون بالبيت عُراة، ويزعمون بأنه من دين الله -عز وجل- والعياذ بالله.

السادسة والثلاثون: التعبد بتحريم الحلال، كما تَعَبّدوا بالشرك.

السابعة والثلاثون: التَّعَبُّد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

وعلىٰ ذلك عَقَدَ الشيخ محمد كتابًا في كتاب التوحيد (باب اتّخاذ العلماء والأمراء أربابًا من دون الله)، أو (طاعتهم في تحليل ما حَرّم الله، وتحريم ما أَحَلّ الله).

الثامنة والثلاثون: الإلحاد في الصفات.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

الميل بها عن معناها؛ الإلحاد: هو الميل، من اللحد، يميلون بالصفات عن معناها.

وهذا وقع في بعض مَنْ ينتسب إلىٰ أُمّة محمد من الجهمية والأشاعرة ومَنْ قال بقولهم، ألحدوا في صفات الله، مثل ما وقع للمشركين من قبل، قالوا: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ [فصلت: ٢٢]، فَنَفوا العلم، وسيأتي نَفْي فرعون لِعُلُوّ الله -عز وجل-.

التاسعة والثلاثون: الإلحاد في الأسماء، كقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وكذلك وقع من الفِرَق التي خالفت في الصفات، وهي من أُمّة محمد، مَنْ ألحد في الأسماء، ومَنْ ألحد في الصفات، والتعطيل كذلك.

الأربعون: التعطيل، كقول آل فرعون.

لَمّا قال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦]، قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]؛ فأنكر فرعون العُلُو، أنكر عُلو الله -سبحانه وتعالىٰ- مع أن موسىٰ أخبره بأن الله في العُلو، فطلب سُلّمًا أو صَرْحًا يُبنىٰ من حُمقه لكي يرقىٰ ويرىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ-، ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]، فعَطّل فرعون صفة العلو.

الحادية والأربعون: نِسْبة النقائص إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب، مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك.

يُنَزِّهون الرهبان من الولد، ومن التعب، ومن النَّصب، ومن بعض الصفات، ويَصِفون الله تعالىٰ بالولد والصاحبة والحاجة والتعب، وأنكر الله تعالىٰ عليهم ذلك، وأنه ما مَسّه - سبحانه وتعالىٰ - من لغوب في ذلك.

فكذلك وقع في مَنْ ينتسب لأُمّة محمد، فنسبوا لله تعالىٰ النقائص، بل وَصَفوا الله تعالىٰ بالمتناقضات، بل بالممتنعات، فيقول: الله ليس في الخارج ولا في الداخل، الله ليس في خارج العالم، ولا في داخل العالم، فكان هذا والعياذ بالله وَصف بالممتنع، لا يرىٰ ولا يُرىٰ، لا يسمع ولا يُسمع! فتجَرءوا علىٰ ذات الله تعالىٰ بالنقائص كما تَجَرّأ عليه أهل الجاهلية في وَصْف الله تعالىٰ بالنقائص فنسبوا له الولد والصاحبة والحاجة والتعب.

الثانية والأربعون: الشِّرْك في الْمُلك، كقول المجوس.

المجوس: في إله الظلمة، وإله النور، إله الخير، وإله الشر، فكذلك القدرية وقع منهم ذلك، هذه إشارة إلىٰ ضلال القدرية، فالقدرية مجوس هذه الأُمة؛ فجعلوا الله يخلق الخير، والمخلوق يخلق الشر.

الثالثة والأربعون: جحود القدر.

وكما جَحَد الأوائل القدر من المشركين، كذلك هناك من أُمّة محمد مَنْ ينتسب إليها وجَحَد القدر، وهذا فيه إلماح وإشارة للقَدرية.

الرابعة والأربعون: الاحتجاج علىٰ الله به.

قالوا: لو شاء الله ما أشركنا، احتجوا علىٰ مخالفة الشرع بالقدر، قالوا: لو شاء الله ما أشركنا؛ فجعلوا الشرك بمحض المشيئة وليس لهم اختيار.

الخامسة والأربعون: مُعارضة شَرْع الله بقَدَره.

والشرع لا يخالف القدر، وأَلّف شيخ الإسلام في ذلك رسالته المشهورة [التدمرية] في أن الشرع لا يخالف القدر، وقد خَرَق في هذا الباب مَنْ خَرق من غلاة المتصوفة فأهملوا شَرْع الله، أو غُلاة القَدَرية فنَفوا قدر الله -سبحانه وتعالىٰ-.

السادسة والأربعون: مَسَبّة الدهر، كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهذا واقع في لسان كثيرٍ من الشعراء والعامة في سَبّ الدهر، ونسبة الشر إليه، ولَوْم الدهر، وكأن الدهر يملك شيئًا، والدهر مملوك لا مالك، مخلوق لا خالق، دَبّره الله -عز وجل-، فلا يقع اللوم عليه، وإنما يقع اللوم علىٰ مَنْ دَبّره، والذي دَبّره هو الله -سبحانه وتعالىٰ-.

فليس الله هو الدهر، وإنما مَسبّة الدهر تؤول إلىٰ مَنْ يُصَرِّف الدهر، والذي يُصَرِّف الدهر هو الله -سبحانه وتعالىٰ-.

السابعة والأربعون: إضافة نِعَم الله إلىٰ غيره، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

الربط ما بين مؤلفات الإمام الواحد من المهمات لطالب العلم؛ لذلك يُستحسن إذا أردت أن تقرأ كُتُب بعض الأئمة أن تقرأها سوية، وأن تُفرِد لها وقتًا واحدًا؛ فلا تقرأ مثلًا كتاب لابن تيمية، ثم تعود لابن رجب، ثم تعود لابن القيم؛ فإن هذا ربما يُشَتِّت عليك الذهن، لكن إذا أنت أنجزت كُتب ابن تيمية يكون الذهن طَرِيًّا، فتذكر أن هذه العبارة مرت بك في الموطن الفلاني، وهذه العبارة مَرّت بك في الموطن الفلاني، وأنت في مكتبك تُحيل، انظر كذا، انظر كذا، بأوسع، فيصبح عندك الكتاب كلما زادت حواشيه سوادًا زاد نورًا؛ فتصبح عندك المسألة الواحدة لها أكثر من موطن مُفَصَّلة، أحيانًا بعض المسائل خمسة عشر موطن لشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مثل الرد علىٰ الآمدي، يعني يقول: (وقد نَبّهنا علىٰ ذلك في غير موضع، أو في غير موطن)، أين هذا الموطن؟.. فتربط المواطن بعضها ببعض، فتصبح المسألة عندك متكاملة.

بل لو حَسُن منك أن تجمع جميع كلامه في المسألة الواحدة في موطن واحد بعبارة موحدة فإن هذا يكون أنفع وأنفع.

إضافة نِعَم الله إلىٰ غيره هذا من أبواب كتاب التوحيد، لَمّا ذَكَر الثلاثة (الأعمىٰ، والأبرص، والأقرع)، ومَسَبّة الدهر من أبواب التوحيد، وهكذا ما تقدم معنا، وما سيأتي بإذن الله -عز وجل-.

الثامنة والأربعون: الكُفر بآيات الله.

التاسعة والأربعون: جَحْدُ بعضها.

"الكفر بآيات الله": أي الكل، **"جَحْدُ بعضـها"**: أي البعض؛ فمَنْ كَفَرَ بالكل أو جَحَد البعض هذا كله من أساليب أهل الجاهلية.

الخمسون: قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

وهذا أيضًا من الإنكار، ويدخل في الإنكار الْمُنَزّل، لا يُشترَط أن يكون الإنكار فقط للمُنَزَّل من القرآن، بل الْمُنزَّل أيضًا من السُّنة؛ ولذلك كثير من الزنادقة اليوم يردّون ما أنزل الله في السُّنة الصحيحة، ويطعنون في صحيح البخاري، ويطعنون في صحيح مسلم، ويقول: ما نَزّله الله، بحُجج واهية، ومُقدمات هزيلة، فلا يُنظَر إلىٰ قولهم، وهؤلاء شأنهم شأن أهل الجاهلية.

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

الثانية والخمسون: القَدْح في حكمة الله تعالىٰ.

"**الحادية والخمسون**: قولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]".

فجعلوه مخلوقًا، وكذلك وقع في أُمّة محمد مَنْ جَعَل القرآن مخلوقًا، وقالوا بأن القرآن مخلوق، والعياذ بالله.

"**الثانية والخمسون**: القَدْح في حكمة الله تعالىٰ".

لَمّا أنكر الله تعالىٰ بأنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلًا، فالله ما خَلَق السموات والأرضين وما بينهما باطلًا، وإنما خَلَقها الله لحكمة -سبحانه وتعالىٰ-.

وقد وقع في بعض الطوائف مَنْ يُنكِر الحكمة، كالأشاعرة ومَنْ قال بقولهم.

الثالثة والخمسون: إعمال الحِيَل الظاهرة والباطنة في دَفْع ما جاءت به الرسل كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢].

لَمّا قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: **"إعمال الحِيَل الظاهرة والباطنة في دَفْع ما جاءت به الرسل"** تقدم التنبيه عليه؛ أن من المسائل التي يُعنَىٰ.. أو يعتني بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: إبطال الحِيَل، فأهل الجاهلية كانوا يُعملون الحِيَل الظاهرة والباطنة، والمكر الكُبّار، ويمكرون علىٰ الأنبياء..

فكذلك يقع في أُمّة محمد مَنْ يمكر ويأتي بأساليب وحِيَل يستحلّ بها ما حَرّم الله، ويُحَرِّم بها ما أَحَلّ الله.

الرابعة والخمسون: الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلىٰ دَفْعه كما قال في الآية.

لَمّا قال في الآية السابقة من آية آل عمران: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فإذًا هُم طلبوا الإيمان بما أُنزِل علىٰ الأنبياء، ولكن عندما طلبوا هذا الإيمان لم يطلبوه اتّباعًا له، وإنما يطلبوه من أجل أن يُؤيدوا كُفْرهم، وأن يعودوا بالكفر والعياذ بالله لكي يُشاغبوا علىٰ دين الله، كما يحصل الآن من بعض الزنادقة؛ يطلبون القرآن ويطلبون السُّنة، ويقرءون فيها، ويقرءون كُتب أهل الحق، لا طلبًا في الحق، وإنما معاندة له، ومناكفة للحق، ومخالفة له.

"**الخامسة والخمسون:** التعصب للمذهب، كقوله فيها: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]".

وهذا قد تَقَدّم مثله في التحزّب للطائفة، كذلك التعصب للمذهب، التحزب للطائفة للجماعة، والتعصب للمذهب: أي القول والمبدأ والفكرة، فيتعصّب لأصحاب مذهبه، ولا يتّبع غيره.

والمؤمن لا يتعصب، المؤمن يتبع الحق، ويُرَوِّض نفسه، هذا الأمر ليس بالهَيّن، المؤمن يُرَوّض نفسه علىٰ قبول الحق، وعلىٰ اتّباع الحق.

السادسة والخمسون: تسمية اتّباع الإسلام شِرْكًا، كما ذكره في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] **الآيتين.**

هذه الآية أُنزلت في اليهود، لَمّا دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام للإيمان، قالوا: يا محمد! تريد منا أن نعبدك؟ فأنزل الله هذه الآية، فجعلوا اتّباع الأنبياء عبادة لهم، فسموا اتباع الإسلام والأنبياء سموه شِرْكًا، تزييف ومخالفة للواقع.

السابعة والخمسون: تحريف الكَلِم عن مواضعه.

وهذا واضح، "تحريف الكَلِم عن مواضعه" واضح؛ بأنواع التحريف، سواء تحريف اللفظ أو تحريف المعنىٰ، كلها من معاني تحريف الكلم عن مواضعه.

والشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- يتقيّد بالألفاظ، والنصوص الشرعية، وإلا بعضها يدخل في بعض، وهذا مما يحل إشكال اختلاف النُّسَخ في عَدِّ مسائل الجاهلية، فمنها ما جاءت بأنها مائة، ومائة وثماني وعشرين، ومنهم مَنْ فَرَّق، ومنهم مَنْ جَمع، فيظن بأن الشيخ يُكرر والشيخ لا يكرر، وإنما يأتي بالشيء علىٰ نَصّه، بمثل ما جاء في الكتاب والسُّنة بأنه من سمات أهل الجاهلية، وإلا بعضها يعود إلىٰ معنىٰ بعض، كتحريف الأسماء والصفات والتعطيل؛ كلها تعود إلىٰ أصلٍ واحد، وهي مخالفة الأسماء والصفات، أو المخالفة في الأسماء والصفات.

الثامنة والخمسون: لَي الألسنة بالكتاب.

"لَي الألسنة بالكتاب" هذا من شأن أهل الجاهلية، ليُظَنّ بأنه من الكتاب، وما هو من الكتاب.

وهذا اللَّي قد يكون.. يعني نسبة الكلام إلىٰ الله -عز وجل- قد تقدمت معنا، فبعض الناس مَنْ يلوي لسانه بالكتاب ليُظَنّ بأنه من الكتاب، يعني المقروء، المراد بالكتاب: أي المقروء، فيظن الظان بأنه من كلام الله -عز وجل-.

فكذلك يدخل فيه الوّضّاعون؛ الذين يضعون أحاديث علىٰ النبي ﷺ ليُظَنّ بأنها من أحاديث رسول الله، فيأتون بألفاظ وعبارات وجُمَل نبوية، ويُدخلون بعضها في بعض، ويكذبون علىٰ رسول الله، فإن هذا من صُوَر لي اللسان بالكتاب ليُظَنّ بأنه من الكتاب، كذلك لي اللسان بالكلام ليُظَنّ بأنه من كلام الرسول ﷺ.

التاسعة والخمسون: تلقيب أهل الهدىٰ بالصباة والحَشَوية.

هذا حصل في أهل الجاهلية؛ يقولون: صَبا فلان، وصابئة، ويَصِفونهم بالحَشوية.

وكذلك في هذه الأُمة؛ ينسبون أهل الحق ويُعَيّرونهم بأسماء يسمونها تشويهًا للحق؛ فالروافض يُسمونهم نواصب، والقدرية يسمونهم جبرية، والجبرية يسمونهم قدرية، والمعطلة يسمونهم مُجَسّمة، وما شَابَه ذلك من الأسماء، وهذه أسماء ما تُغني عن الحق شيئًا، ولا ترد الحق، وإنما هي للتشويه والتزييف.

وكما قالوا للنبي ﷺ بأنه مُذَمّم، ونسبوه إلىٰ غير اسمه؛ هذا كله من الانحراف.

"**الستون**: افتراء الكذب علىٰ الله".

"**الحادية والستون**: التكذيب بالحق".

"**الستون**: افتراء الكذب علىٰ الله".

هذا تقدم معنا بمثل معناه؛ وهو القول علىٰ الله بغير عِلْم، أو الفتوىٰ بغير عِلْم.

"**الحادية والستون**: التكذيب بالحق".

وهذا أيضًا مضىٰ مثله، "**التكذيب بالحق**".

الثانية والستون: كونهم إذا غُلبوا بالحُجة فزعوا إلىٰ الشكوىٰ للملوك، كما قالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

هذا إذا غُلِبوا بالحُجة، أما إذا كانت الحُجّة معهم فلهم أن يرفعوا علىٰ مَنْ خالفهم الأمر إلىٰ الملوك، فإذًا مجرد الشكوىٰ للملوك هل هي محل ذَمٍّ أو محل قَدْح، مجرد الشكوىٰ للملوك للأخذ علىٰ يد المخالف هل هي محل ذَمٍّ أو محل قَدْح؟ أم هناك اعتبار لا بد النظر إليه؟.. ما هو الاعتبار؟

موافقة الحق، أو مخالفته.

فإن كان الحق معنا وشَذّ مَنْ شَذّ، كالخوارج، ومَنْ يُكَفِّر، ومَنْ يُفَجِّر، هل نسكت، نقول الشيخ محمد قال: من أعمال الجاهلية الشكوىٰ للملوك، والرفع إلىٰ الملوك؟

لا؛ غير صحيح، بل يجب أن ترفع أَمْره إلىٰ السلطان، كما جاء في حديث عوف بن مالك، لَمّا سمع الرجل يتكلم في النبي عليه الصلاة والسلام، والصحابة في غزوة تبوك، ماذا قال؟ قال: والله لأُخبرنّ عنك رسول الله. وقال ابن مسعود: والله لنخبر رسول الله.

فدل ذلك علىٰ أنه من النصح للأمة الإسلامية إذا كان هناك مَنْ يكيد لها ويخالف شَرْع الله أن يُرفَع أَمْره إلىٰ السلطان حتىٰ يأخذ علىٰ يده إذا خالف الحق.

ولكن من أساليب أهل الباطل في محاربة الحق إذا عَيّوا بمغالبة الحُجة بالحجة فَزِعوا إلىٰ السلطان ظلمًا وبَغْيًا علىٰ أهل الحق، فيقتلهم أو يسجنهم وما شَابَه ذلك، وربما يُزَيّفون الأمر بأنه يقول: يريد الْمُلك، كمَا افتروا علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، قالوا: يطلب الْمُلْك، وربما يُزيّفون يقولون: هو يطعن في عقلك يا طول العمر، يطعن في دينك يا طول العمر! هذا كله من أجل التحريش والتأليب علىٰ أهل الحق.

الثالثة والستون: رَمْيهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية.

الرابعة والستون: رَمْيهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦] الآية.

الخامسة والستون: رَمْيهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية.

هذه كلها تجمعها مسألة واحدة بما يتعلق بالْمَلك والسلطان؛ أنهم يُحَرِّشون ما بين أهل الحق والسلطان بأي صورةٍ كانت، إما أنه يريد أن ينقض مُلكك، إما أنه يريد أن يطعن في دينك، يطعن في عقلك، كل هذه من أساليب التأليب والتحريش علىٰ أهل الحق بقوة السلطة.

السادسة والستون: رَمْيهم إياهم بتبديل الدين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

السابعة والستون: رَمْيهم إياهم بانتقاص الملك كقولهم: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

الثامنة والستون: دعواهم العمل بما عندهم من الحق، كقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١] مع تَرْكهم إياه.

وهذا كثير؛ يَدّعون بأنهم يتبعون الحق، وفي الحقيقة هم يُخالفونه، وهذا كثير.

التاسعة والستون: الزيادة في العبادة، كفِعْلهم يوم عاشوراء.

السبعون: نَقْصهم منها، كَتَرْكِهم الوقوف بعرفات.

"**التاسعة والستون**: الزيادة في العبادة، كفِعْلهم يوم عاشوراء".

اتخذوه عيدًا، ويفعلون فيه المنكرات، فزادوا في العبادة ما ليس منها.

"**السبعون**: نَقْصهم منها، كَتَرْكِهم الوقوف بعرفات".

هكذا كان المشركون لا يقفون في عرفات، وإنما يقفون في مزدلفة، من الذين يقومون بخدمة البيت من كفار قريش، فكان أهل قريش ما يخرجون لعرفات، وإنما يبقون في مزدلفة، وأما بقية الحاج يخرج إلىٰ عرفات عندهم، وهذا من المخالفة.

الحادية والسبعون: تَرْكهم الواجب ورعًا.

الثانية والسبعون: تَعَبّدهم بِتَرْك الطيبات من الرزق.

الثالثة والسبعون: تَعَبّدهم بِتَرْك زينة الله.

"الحادية والسبعون: تَرْكهم الواجب ورعًا".

وهذا وقع عند كثير من الغلاة الذين يتركون الواجب ورعًا.

"الثانية والسبعون: تَعَبّدهم بِتَرْك الطيبات من الرزق".

وكذلك وقع في أُمّة محمد مَنْ يتعبد بتَرْك الطيبات من الرزق تَعَنُّتًا وتَنَطّعًا، فسبيله سبيل أهل الجاهلية.

"الثالثة والسبعون: تَعَبّدهم بِتَرْك زينة الله".

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فهناك من كفار قريش مَنْ كان يترك الزينة التي أحلها الله -عز وجل-، ويبتدع رهبانية ما كَتَبها الله عليه، فكذلك يكون في أُمّة محمد مَنْ يترك الزينة، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يتزين.

الرابعة والسبعون: دعوتهم الناس إلىٰ الضلال بغير عِلم.

الخامسة والسبعون: دعوتهم إياهم إلىٰ الكفر مع العلم.

مثل النصارىٰ؛ يدعون إلىٰ الضلال ويحثون إليه وهُم أئمة في الضلال بغير عِلْم، واليهود يدعون إلىٰ الكفر مع عِلْم؛ عندهم توراة تُقرَأ وكُتُب تُقرَأ ولكنهم يدعون إلىٰ الكفر.

السادسة والسبعون: المكر الكُبّار، كفِعْل قوم نوح.

السابعة والسبعون: أن أئمتهم إمّا عالِم فاجر وإما عابد جاهل.

"**السادسة والسبعون**: المكر الكُبّار، كفِعْل قوم نوح".

يعني هناك من الناس مَنْ هو منحرف ولكنه يدعو إلىٰ انحرافه بمكر وخُبْث، كما حصل لقوم نوح.

"**السابعة والسبعون**: أن أئمتهم إمّا عالِم فاجر وإما عابد جاهل".

وما دَخَل النقص علىٰ الدين إلا من عالم فاجر، يمكر بدين الله -عز وجل-، أو عابد جاهل، لا يعرف دين الله -سبحانه وتعالىٰ-.

"كما في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ﴾ [البقرة: ٧٥] إلىٰ قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]".

الفريق الأول يسمعون كلام الله؛ فَهُم عندهم عِلْم لكنه مع فُجْر.

وأما الفريق الثاني فَهُم أُمّيون لا يعلمون، جُهّال، لكنهم يتعبدون علىٰ جَهْل.

الثامنة والسبعون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

التاسعة والسبعون: دعواهم محبة الله مع تَرْكهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ [آل عمران: ٣١].

"**الثامنة والسبعون**: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس".

وهذه دعوىٰ، يعني يدّعون بأنهم أقرب إلىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ-، ويقولون: نحن أحباب الله؛ كما يقول الغُلاة.

"**التاسعة والسبعون**: دعواهم محبة الله مع تَرْكهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ [آل عمران: ٣١]".

فالولاية ليست هي مجرد محبة الله، ويقال عنهم أحباب الله، أحباب الله صِدْقًا وعَدْلًا هُم المتبعون لسُنّة النبي ﷺ، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

الثمانون: تَمّنيهم الأماني الكاذبة، كقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وهذا يقع من أُمة محمد؛ مَنْ ينسب نفسه إلىٰ الجنة وينسب مُخالِفه إلىٰ النار؛ وهذه كلها أماني كاذبة، يحققها العمل أو يُكَذّبها.

"وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]".

الحادية والثمانون: اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

الثانية والثمانون: اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذُكر عن عمر.

الثالثة والثمانون: اتخاذ السُرج علىٰ القبور.

الرابعة والثمانون: اتخاذها أعيادًا.

من الحادية والثمانين إلىٰ الخامسة والثمانين أفعال تُعمَل عند القبور، وقعت في الأمم السابقة وهي تقع في هذه الأمة.

"**الحادية والثمانون**: اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد".

والنبي نَبّه عن ذلك؛ اتخاذ القبور مساجد.

"**الثانية والثمانون**: اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذُكر عن عمر".

لَمّا رآهم عمر رضي الله عنه يَفِدون إلىٰ مسجدٍ صلىٰ فيه نبي الله، لم يكن قبرًا وإنما أَثَرًا من آثار النبي ﷺ، فغَضب عليهم، وقال: «إنّما أهلك مَنْ كان قبلكم بمثل هذا»؛ أي اتّباع آثار الأنبياء والصالحين، يعكفون عليها، ويفعلون عندها المنكرات والبدع.

"**الثالثة والثمانون**: اتخاذ السُرج علىٰ القبور".

وهذا وقع في أُمّة محمد حتىٰ صار من النذور عند بعض أهل الضلال، ينذرون زيتًا أو لَهَبًا أو ما شَابَه ذلك أو كبريتًا إلىٰ قبر فلان أو ضريح فلان حتىٰ يُوقَد عنده، فاتخذوا عليها السُّرَج.

"**الرابعة والثمانون**: اتخاذها أعيادًا".

كزُوّار، كعيد البدوي، وعيد العيدروس، وعيد فلان وعلان، وعيد القبور الشركية التي تُعبَد من دون الله -عز وجل-، جعلوها عِيدًا.

الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور.

وهذا وقع في أمة محمد؛ في أناس ينتسبون إلىٰ أمة محمد يذبحون عند القبور كما كان أهل الشرك؛ كما جاء في الحديث: الرجل قال: أنا نذرتُ أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن يُعبَد؟**»؛ فكانوا يذهبون إلىٰ أوثان وينحرون عندها الإبل.

السادسة والثمانون: التَّبَرُّك بآثار الْمُعَظَّمين، كـدار النـدوة، وافتخـار مَـنْ كانـت تحت يده بذلك، كما قيل لحكيم بـن حِـزام: بعـت مَكرمَـةَ قـريش؟! فقـال: ذهبـت المكارم إلا التقوىٰ.

يرونها مكرمة قريش، دار الندوة كانوا يتبركون بها، فيرون بأنها مكرمة، مثل ما يسمون الآن عندنا.. عند القبور يسمون (سادن) أو (سَدنة القبور)، ويرىٰ بأن سَدَنة القبور هؤلاء لهم فضل، وأن في أيديهم نعمة عظيمة ومكرمة كبيرة؛ بأنهم خُدّام لهذا القبر ومن حول هذا الضريح، والعياذ بالله.

السابعة والثمانون: الفخر بالأحساب.

الثامنة والثمانون: الطعن في الأنساب.

الأحساب: الأفعال، والشرف، والمكانة؛ نحن الذين فعلنا وفعلنا وفعلنا، فيأتي بشرف القبيلة وأفعالها.

والأنساب: الصُّلْب والآباء.

التاسعة والثمانون: الاستسقاء بالأنواء.

والنبي أخبر عن ذلك بأنه باقٍ في أُمّة محمد.

والاستسقاء بالأنواء كذلك، وأخبر عنه النبي ﷺ، وعَقَدَ عليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بابًا في كتاب التوحيد.

التسعون: النياحة.

والنياحة علىٰ الميت: المراد به الصراخ ومخاصمة القدَر، والتضجر، ورَفْع الصوت عند النساء؛ فإن هذا من النياحة.

وهو واقع في أُمّة محمد، أخبر النبي ﷺ بأنها باقية في أُمّته، وهي من شأن الجاهلية.

الحادية والتسعون: أن أَجَلّ فضائلهم البَغْي، فَذَكَر الله فيه ما ذكر.

وهو واقع اليوم، القبيلة الفلانية فعلت كذا، وكم فعلت بكذا، وكم طرحت رأس قوم، وكم فعلت وكم فعلت؛ فيفتخرون بالبغي، وهذا من شأن الجاهلية.

فكما قال نبينا عليه الصلاة والسلام لأبي ذر لَمّا استحقر الرجل بأُمّه أو عَيّره بأُمّه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»، كذلك يقال للذين يفتخرون بالقصائد، بأن قبيلتي صرعت زعيم قوم، وكم فعلت معشّية الطير، هذا كله بَغْي وظُلْم، ليست في نُصرة دين الله -سبحانه وتعالىٰ-، وليست في خدمة الشريعة، وإنما هي علىٰ أفعال أهل الجاهلية، فمثلها لا يُحمَد بها، ولا يُثنىٰ بها، ولا يُشكَر عليها، بل يُسكَت عنها ويُترَك، أو تُنكَر أصلًا بأن هذا ظُلم، وأن هذا بلاء وقعت فيه أُمّة ممَّنْ خَلَت، ويقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

الثانية والتسعون: أن أَجَلّ فضائلهم الفخر، ولو بحق، فنهي عنه.

المفاخرة، الإنسان حتىٰ لو وَافق الحق فإنه يحمد الله -عز وجل- ولا يفتخر به علىٰ الناس، ويرىٰ بأن له حق علىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ- بأن يعطيه هذه النعمة، بل يكثر تواضعه لله وشُكْره وحَمْده لله -سبحانه وتعالىٰ-.

"**الثالثة والتسعون**: أن تَعَصّب الإنسان لطائفته علىٰ الحق والباطل أَمْرٌ لا بد منه عندهم، فَذَكَر الله فيه ما ذكر.

الرابعة والتسعون: أنّ مِن دينهم أَخْذ الرجل بجريمة غيره، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]".

وهذه واقعة بين القبائل إلىٰ عهدٍ قريب حتىٰ أكرم الله الأُمّة بهذه الدولة المباركة، وإلا من قبل القبيلة الفلانية إذا قتل منها شخص يذهبون ويبحثون عن غيره فيُقتَل بغير حق، وربما يُقتَل بالواحد العشرات من الرجال، هذا واقع في الجاهلية وواقع في أُمّة الإسلام والعياذ بالله.

هذا يُصَدِّق أصل الرسالة، بأن ما وقعت فيه الأُمَم السابقة سوف تقع فيه أمة محمد ﷺ.

الخامسة والتسعون: تَعيير الرجل بما في غيره فقال: «أَعَيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» (متفق عليه).

هذا لَمّا عَيّر أبو ذر رضي الله عنه الرجل بأُمّه قال له النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»؛ فَدَلّ على أن تعيير الرجل بِنَسبه وانتقاصه بشيءٍ فيه أن هذا من سمات وصفات أهل الجاهلية.

وأيضًا ينبغي أن يُعرَف الفرق بين أن يقال: فلان جاهلي، أو فيه جاهلية، «إنك امرؤ فيك جاهلية»؛ لأن وَصْف الشخص ببعض صفات الفرقة المنحرفة لا يعني إلحاقه بهم، وإنما أنه وقع في بعض سماتهم وصفاتهم، مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها لمعاذة: أحرورية أنتِ؟.. لَمّا رأت أنها عارضت النَّص بالعقل عاتبتها في ذلك.

فهناك من الناس مَنْ يكون فيه نَفَسٌ خارجي، وليس بخارجي.

يكون من الناس مَنْ عنده زَلّة أو ميول لبعض أهل الطرق، ويقع منه بعض الزّلات التي ترىٰ فيها سمة من سمات أهل البدع، فمن الظلم أن يُلحَق بهم، وأن يُنسَب إليهم، وإنما يقال: هذه زَلّة من زَلّاته، أو سَقْطة من سقطاته، إلا أن يوافقهم علىٰ أصولهم؛ فإن وافقهم علىٰ أصولهم وسَلَكَ مسلكهم فإنه يكون بذلك منهم، ويُنسَب إليهم.

السادسة والتسعون: الافتخار بولاية البيت، فَذَمّهم الله بقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ [المؤمنون: ٦٧] أي مستكبرين بخدمة البيت والقيام بشئونه، وأنتم مخالفون لأَمْر الله -عز وجل- فيه.

فأهل الباطل يستكبرون بما عندهم من رُتَب ومناصب في معارضة الحق، وكما تقدم أن القيد والنظر إنما يكون لموافقة الحق ومخالفته، وبه العبرة.

السابعة والتسعون: الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء، فأتىٰ الله بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] **الآية**.

وهـذا يؤكـد مـا تقـدم مـرارًا وتكـرارًا بـأن الافتخـار بالمناصـب والصـنائع والرُّتَـب والمكانات والأموال والفهوم والعلوم والعقول، كلها لا تغني من الحق شيئًا، العبرة: موافقة الحق.

كما ذكر شيخ الإسلام في آخر الحموية عن المخالفين للحق الذين يفتخرون بما عندهم من عِلْم الكلام ودرايته، ودلالة الألفاظ، قال: (أوتوا علومًا وما أوتوا فهومًا، وأوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة، فما أغنىٰ عنهم سَمْعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله).

فالعبرة ليس بكثرة المحفوظات ولا المقروءات، ولا بالصناعات، ولا بالرُّتَب، ولا بالنَّسَب –كما سيأتي معنا– بأنه من سلالة آل البيت، أو ابن الأنبياء، أو أن أصوله من أهل النبوة؛ كل هذه لا تغني من الحق شيئًا ممَّنْ خَالَف الحق.

العبرة بموافقة الحق، فمَنْ وَافَق الحق فمرحبًا به كيفما كان، وعلىٰ أي حالٍ كان هو الْمُقَدَّم، وهو المقبول، ومَنْ خالف الحق لا يُنظَر في كل هذه الأمور.

الثامنة والتسعون: الافتخار بالصنائع، كفِعْل أهل الرحلتين علىٰ أهل الحَرْث.

التاسعة والتسعون: عَظَمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

أهل الرحلتين: يعني رحلة الشتاء والصيف، عندهم نوع من البذخ والعلو والرفعة علىٰ مَنْ كانوا أهل حرث.

﴿عظيم﴾: يعني عَظَمة الدنيا، الرُّتبة الدنيوية، يرون بأن الحق بالخير وموافقة الحق، هُم أهل الرُّتب الدنيوية.

فَهُم يُعَظِّمون الدنيا، والدنيا لا اعتبار بها.

المائة: التَّحكُّم علىٰ الله كما في الآية.

التحكم علىٰ الله من شأن أهل الجاهلية، يقولون: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [الزخرف: ٣١]، ليس علىٰ كيفهم، يتحكمون علىٰ ربي -عز وجل-؟! هو الذي يعلم أين يضع رسالته -سبحانه وتعالىٰ-، هو الذي يقضي ما يشاء ويختار، فما أحد يتحكم علىٰ الله، الله تعالىٰ هو الذي يفعل ما يشاء ويريد.

الحادية بعد المائة: إِزْدِرَاءُ الفُقَرَاءِ، فَأَتَاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وهذا أيضًا من شأن أهل الجاهلية، وتقدم معنا **"إِزْدِرَاءُ الفُقَرَاءِ"** ولا يزال عندنا إلىٰ اليوم، خاصةً من أصحاب النّعرات القَبَلية والبَذَخ الدنيوي والفرح بالمناصب والرُّتَب والمشيخات يتعالىٰ علىٰ خَلْق الله، وهذه آفة بُلِي بها الكثير من أبناء الدنيا وأهل المناصب والْمَشيخات والرُّتَب، يتعالىٰ علىٰ خَلْق الله، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة رجل في قلبه..**» في قلبه ليس في وجهه، وليس في حركاته، ليس في ذمة صدره، ليس في خزر العين، «**في قلبه**» فقط.

«**لا يدخل الجنة رجل في قلبه ذرة كِبْر**» فكيف بالذي كِبْره في حركاته، في كلماته يستحقر العامل، ويستحقر مَنْ كان علىٰ غير جنسيته، ويستحقر الفقير، هؤلاء ربما هم أقرب عند الله -سبحانه وتعالىٰ-.

لذلك جاء في الحديث لَمّا رأىٰ الصحابة رجلًا كأنهم استحقروه، قال: ما هذا منكم؟ قالوا: هذا إن شَفَع حقيقٌ ألا يُشَفَّع، وإن خَطَب حقيقٌ ألّا يُزَوّج، والآخر بالضد من ذلك، فقال: «**لهذا خيرٌ من ملء الأرض من هذا**».

وجاء في الحديث «**رُبَّ أَشْعَث أَغْبَر ذِي طِمْرَيْن**» يعني لباسين رديئين، «**مدفوع بالأبواب**» إذا جاء له في المجلس قالوا: اجلس عند الباب «**مدفوع بالأبواب**» لو أقسم علىٰ الله لَأَبَرّه، يعني لو أنه أقسم علىٰ أَمْرٍ في مُلْك الله لأمضىٰ الله قَسمَه وقال: «**أَبِرّوا قَسَم عبدي**»، لو قال: والله ما يحصل كذا، من أجله لا يحصل كذا إبرارًا بِقَسمه.

ولو قال: والله لينزل المطر الليلة، فيقول الله: أَبِرّوا قَسم عبدي، ينزل المطر الليلة، استجابةً له لصلاحه وقُربه من الله -عز وجل-.

فمن التعالي علىٰ خَلْق الله ومن شأن الجاهلية: ما يقع اليوم عند كثير من أهل المناصب

والرُّتَب والمشيخات والجاهات، أنهم ينظرون إلىٰ بعض العَمَالة وبعض الفقراء ومَنْ رأوا فيه رثاثة الخِلْقة ينظرون عليه بنظرة التعالي والكِبْر والعُلو والرفعة، والمؤمن لا يكون كذلك، ويُروىٰ أن النبي عليه الصلاة والسلام أَكَل علىٰ الأرض، وقال: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد»، يُروىٰ عنه أنه قال: «اللهم احشرني في زُمرة المساكين»، وقال: «إنما أنا مسكين».

بل شأن أهل العلم والفضل دومًا؛ يكون فيهم نوع من الانكسار بين يدي الله -عز وجل-، وإذلال النَّفس إن كان فيها نوع من الجموح والكبرياء علىٰ الآخرين.

أبو هريرة لَمّا كان علىٰ المدائن، لَمّا وُلِّي في بعض الخلافات كأنه وَجَد في نفسه بعض الشيء، فنَزَل ورَكِب الحمار، وسار بين الناس، وقال: افسحوا الطريق للأمير، افسحوا الطريق للأمير.

والإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- حَمَلَ متاعًا في السوق، فأتاه أحد طُلّابه ومُحِبّوه، فقال: أبا عبد الله! نحمل عنك، فاحمَرّ وجهه، لم ير له فضل علىٰ الناس ويقول: احملوا عني، اخدموني، لا؛ بل رأىٰ أن هذا من الابتلاء والفتنة، وقال: يا أبا عبد الله! لقد سمعتهم علىٰ الثغور يستغفرون لك، وهو في بغداد.

(لقد سمعت الناس علىٰ الثغور) يعني في حد بلاد الإسلام (يستغفرون لك)، فبكىٰ الإمام أحمد، قال: أخشىٰ أن يكون استدراج من الله -عز وجل-.

واليوم كثير منّا ربما يتزلّف بين الناس بصلاحه ورُتبته ومكانته وجاهه ومنصبه، ويستحقر الآخرين، يقول: خله يخدمنا، لا؛ ينبغي للإنسان أن يكون هو مُعين لإخوانه، قريب منهم، متواضع لهم، لا يتكبر عليهم.

الثانية بعد المائة: رَمْيُهُمْ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ بِعَدَمِ الإِخْلاَصِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا، فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وهـذا واقـع؛ أهـل الباطـل مـداخلهم كثيـرة علـىٰ أهـل الحـق، فيَتّهمـونهم حتـىٰ بعـدم الإخلاص وطلب الدنيا، وهُم والله الذين غير مخلصين، وهُـم الـذين يطلبـون الـدنيا، ولكـن التُّهَم إلقاؤها جزاف، وحكمهم عند الله -سبحانه وتعالىٰ-.

الثالثة بعد المائة: الكُفْرُ بالمَلاَئِكَةِ.

وهذا حصل؛ أن كفار كفروا بالملائكة، وبجبريل، وميكائيل، فيقع من مَنْ ينتسب إلىٰ أُمّة محمد من الفلاسفة والزنادقة مَنْ ينكر الملائكة ويكفروا بهم، وكذلك الكفر بالرسل.

الرابعة بعد المائة: الكُفْرُ بالرُّسُلِ.

الخامسة بعد المائة: الكُفْرُ بالكُتُبِ.

السادسة بعد المائة: الإِعْرَاضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللهِ.

السابعة بعد المائة: الكُفْرُ باليَوْمِ الآخِرِ.

هذه كلها واضحة من شأن أهل الجاهلية، وتقع في أُمّة الإجابة وأُمّة الدعوة، يعني كل مَنْ جاء بعد النبي عليه الصلاة والسلام فهو داخلٌ في أُمّة الدعوة.

الثامنة بعد المائة: التَّكْذِيبُ بِلِقَاءِ اللهِ.

الفرق ما بين الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله:

اليوم الآخر: جميع مجريات اليوم الآخر وأحداثه.

والكفر بلقاء الله: الحساب؛ أن الله يحاسب الخَلْق.

التاسعة بعد المائة: التَّكْذِيبُ بِبَعْضِ مَا أَخْبَرتْ به الرُّسُلُ عن اليوم الآخر، كما في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥].

وقد وقع هذا من بعض الزنادقة والفلاسفة ومَنْ تَبِعهم واستخفوا عقله، ينكروا عذاب القبر وحساب القبر، ولهم الآن مقاطع صوتية، وفيديوهات مرئية، يأتون بالشُّبَه، يُلَبِّسون علىٰ الناس أَمْر دينهم، والقبر أول منازل الآخرة.

"**ومنها: التكذيب بقوله:** ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، **وقوله:** ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، **وقوله:** ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

العاشرة بعد المائة: قَتْلُ الذين يأمرون بالقسط من الناس.

ظُلمًا وبَغيًا، وهذا واقع؛ **"قَتْلُ الذين يأمرون بالقسط من الناس"** ظُلمًا وبَغيًا، مثل ما يحصل من سلاطين الجور والظلم والبغي يقتلونهم، مثل ما يحصل من أهل الضلال والبِدَع من بعض الاغتيالات والتفجيرات لأهل الحق، فإن هذا والعياذ بالله من شأن أهل الجاهلية في الاعتداء والظلم.

الحادية عشرة بعد المائة: الإيمان بالجِبت والطاغوت.

الثانية عشرة بعد المائة: تفضيل دين المشركين علىٰ دين المسلمين.

الجِبت: يكـون في المعنويـات، والطـاغوت: يكـون في العينيـات، فهـذا معنىٰ "**الجبـت والطاغوت**" وهو كل ما تجاوز به العبد حَدّه متبوعٌ أو معبودٌ أو مطاع.

فالجبتوية معنوية، والطاغوتية عينية؛ ولذلك الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة، كـل هؤلاء الرؤوس معان أم أعيـان؟.. أعيـان، مَـنْ عُبِـد وهـو راض، مَـنْ دعـا النـاس إلـىٰ عبادتـه، كإبليس عليه لعنة الله، مَنْ حَكَم بغير ما أنزل الله، هؤلاء كلهم أعيان.

فالطاغوتيـة تكـون في الأعيـان، والجبتويـة تكـون في المعـان كالسـحر والكهانـة، هـذه جبتوية، تكون في المعان.

وقـد يُطلَـق علـىٰ بعـض المعـاني (الطـاغوت) مجـازًا، قـد يُطلَـق علـىٰ بعـض المعـاني (الطاغوتية)، أو توصف بعض المعاني بالطاغوتية مجازًا، كـأن يقـال: بـأن المجـاز طـاغوت، والتأويل طاغوت، والقياس طاغوت لِمَا وَقَع فيه من تجاوزات، فيتجاوز بعض الناس في القيـاس حتىٰ يُبطلـون شـرع الله، ويتجـاوز بعـض النـاس في المجـاز حتىٰ يُبطلـون شـرع الله، ويتجاوز بعض الناس في التأويل حتىٰ يُبطلـون شـرع الله، ويتجـاوز بعـض النـاس في التعطيـل حتىٰ يُبطلون شرع الله.

وعلـىٰ ذلـك جـرىٰ ابـن القـيم -رَحِمَـهُ اللهُ تَعَـالَىٰ- في كتابـه الصـواعق المرسَـلَة، ذكـر الطواغيت التي زَلّت بها كثير من الطوائف، كالتأويل والمجاز والقياس وما شابه ذلك.

فإذًا الجبتوية في المعاني، والطاغوتية في الأعيان، وقد يُطلَق علىٰ بعض المعاني طاغوتًا تَجَوّزًا.

الثانية عشرة بعد المائة: تفضيل دين المشركين علىٰ دين المسلمين.

الثالثة عشرة بعد المائة: لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ.

الرابعة عشرة بعد المائة: كِتْمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ.

"الثانية عشرة بعد المائة: تفضيل دين المشركين علىٰ دين المسلمين".

وهذا واقع، يُفَضّل دين المشركين علىٰ دين المسلمين –والعياذ بالله–، حتىٰ وقع في أُمّة محمد مَنْ يُعَظِّم الغرب ويُثني عليهم، ويُقَدّمهم علىٰ أهل الإسلام فتنةً بهم.

"الثالثة عشرة بعد المائة: لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ".

فكل مَنْ لَبَّس الحق بالباطل وزخرف الباطل للناس فهذا فيه جاهلية، فمن شأن أهل الجاهلية: لَبْس الحق بالباطل؛ أما أهل الإسلام: فإنهم لا يأتون إلا بالحق الذي لا باطل فيه.

"الرابعة عشرة بعد المائة: كِتْمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ".

"كِتْمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ" هذا وقع عند اليهود وعند النصارىٰ؛ كَتَموا الحق وهُم يعلمون به، فكذلك يكون في أُمّة محمد مَنْ يكتم الحق، والله تعالىٰ قد أخذ الميثاق، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

الخامسة عشرة بعد المائة: قاعدة الضلال، وهي: القول علىٰ الله بلا علم.

هذه قاعدة؛ **"القول علىٰ الله بغير علم"**، كالرباط، كالحبل؛ إذا انطلق لا يُرَدّ، لكن عندما يُلجِم لسانه بلجام الشرع ولا يتكلم إلا بما أَمَرَ الله تعالىٰ به ولا يُقَرِّر مسألةً إلا بشرع عن الله وعن رسوله ﷺ فهذه هي النجاة، ولكن قاعدة أهل الباطل: يُبيح لنفسه أن يتكلم بغير عِلْم، ثم يبدأ يتكلم في العقائد والأحكام والمعاملات والعقود والعهود وغير ذلك بغير عِلْم.

ولذلك هؤلاء الذين يتكلمون كما قال بعض السلف: مَنْ سُئل عن كل مسألةٍ فأجاب فهو مجنون، اتهموه بالجنون، مُغامِر.

الإمام مالك يُسأل عن أربعين مسألة ما يُفتي إلا في أربع، ويقف في ستة وثلاثين مسألة، كانوا يهابوه حتىٰ تجف أرياقهم، يجف اللسان في الكلام في الفتوىٰ، واليوم يتجاسرون، يخرجون أمام الجماهير بالملايين، ويتكلم في شرع الله -عز وجل- بالحِلّ والحُرمة، ويُقرر، هذا والله ضَرْب من الجنون.

الإنسان يخاف ويتقي الله -عز وجل-، ويُراجِع نفسه، وينظر ماذا يقول، ويعرضه علىٰ كتاب الله، وعلىٰ سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، بل يخشىٰ أن يلقي الله تعالىٰ علىٰ لسانه كلمة هو لا يريدها فيفتن الله تعالىٰ به أُمّة، يُفتَن به ناس كثير.

فدل ذلك علىٰ أن الإنسان ينبغي أن يتقي الله -سبحانه وتعالىٰ-.

السادسة عشرة بعد المائة: التناقض الواضح لَمّا كذَّبوا بالحق، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

ولهذا قال أهل العلم: "مَنْ أكثر التّنَقُّل تَزَندق"، وعلامة القلب المفتون: أن تعرف ما كنتَ تنكر أو تنكر ما كنتَ تعرف.

فإنْ وجدتَ نفسك مضطربًا في الأحكام والتقريرات فأَنْقِذ نفسك، عليك بالأرض الراسية، الأرض المستقرة، إياك والأرض المتزلزلة، المتذبذبة، تُحِلّه عام وتُحَرِّمه عام، وتُقِرّ عام وتُنكِر عام، بلاء.

بل من المخيف أن تجد الشاب الصغير في الفترة القصيرة يضطرب في الأقوال بين قولٍ إلىٰ قول، يعني العالِم قد يتراجع عن مسألة ويختلف رأيه بعد مُدّة من الزمن، بعد نَظَر وبحث، وربما يتجاوز في العمر وبدا عنده سعة مدارك واتّساع نَظَر، ربما يخالف قوله ما سبق من قوله.

لكن شاب في عشر سنوات ينتقل من قول إلىٰ قول، ومذهب إلىٰ مذهب، ورأْي إلىٰ رأي؛ هذا أَمْره مخيف ومريج، وشأنه شأن أهل الجاهلية، ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، يروج عليهم مذهب تلو مذهب، فيجعل الإنسان يخاف؛ لذلك عليكم بالاستقرار، عليكم بالثبات علىٰ دين الله -سبحانه وتعالىٰ-؛ وهذا يكون بـ:

تقرير الأصول والقواعد، فانظر إلىٰ مسائل الاعتقاد واعقد قلبك عليها، هذه لا نزاع فيها، لا تحل عُقدة العقيدة حتىٰ يتوفاك الله.

ثم بعد ذلك اذهب إلىٰ الإجماع، ما اتفق عليه أهل العلم، واعقد قلبك بأن الإجماع لا يُنسَخ، يعني كأنك تقول: تَفَطّن لهذا الباب، انتبه لهذه المسائل، هذه ملفات أَغْلِقها، لا تقبل فيها مساومة ولا نقاش ولا جدال، ولا مماحلة ولا مناظرة، ولا غير ذلك، متفق عليها،

إما عَقَدية، وإما مسألة حُكمية شرعية قد انتهىٰ الإجماع وأُغلِق عليها بأنها مشروع أو غير مشروع، ممنوع أو مقرر أو ما شابه ذلك، أَغْلِق الباب من دونها.

ثم تأتي بعد ذلك عن مسائل الخلاف والنّظار انظر فيها من مسالك أهل العلم وكيف تُقَرِّرها، وتبحث في هذه المسائل.

السابعة عشرة بعد المائة: الإيمان ببعض المنزَّل دون بعض.

وهذا تَقَدّم الإشارة إليه في اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، فمن شأن أهل الجاهلية أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي خُذوا الإسلام من جميع نواحيه، فكذلك ينبغي أن يكون المؤمن، يؤمن بالكتاب كله، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض.

وهذا بلاءٌ قد وقع فيه الناس متفاوتون بحسب هذا الخلل فيهم، حتىٰ في بعض أهل الخير والصلاح، لربما تجد بأنه يتورع عن سماع أغنية وموسيقىٰ، ولكنه لا يتورع عن النميمة، والكلام في الأعراض والغيبة! وهذا بلاء، المؤمن يكون متقي لله -عز وجل-، مُراقِب لله -سبحانه وتعالىٰ- في كل شيء، فيؤمن بالكتاب كله، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض.

الثامنة عشرة بعد المائة: التفريق بين الرسل.

التاسعة عشرة بعد المائة: مخاصمتهم فيما ليس لهم به علم.

"الثامنة عشرة بعد المائة: التفريق بين الرسل".

هذا واضح، من شأن أهل الجاهلية.

"التاسعة عشرة بعد المائة: مخاصمتهم فيما ليس لهم به علم".

وهذا كذلك واضح، من شأن أهل الجاهلية، ويقع في أُمّة محمد؛ يُخاصمون الرسل.

ومن المخاصمة: عَبَث العقلانيين بما جاء عن الله وعن رسول الله، كحديث الذباب، وألبان الإبل، وأبوال الإبل، فيخاصمون الشرع فيما جاء به، وهُم ليس لهم به عِلْم، وإنما العلم ما جاء في كتاب الله وفي سُنّة النبي ﷺ.

العشرون بعد المائة: دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم.

الحادية والعشرون بعد المائة: صَدّهم عن سبيل الله مَنْ آمن به.

"العشرون بعد المائة: دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم".

فيأتون بما لم يأتِ به السلف.

وكذلك عامة الطوائف المنحرفة؛ يزعمون بأنهم أتباع الصحابة، وفي الحقيقة قد أتوا بشيءٍ لم يأتِ به الصحابة، بل ربما خالفوا الصحابة فيما ذهبوا إليه.

وكذلك الأئمة الأربعة؛ يزعمون بأنهم علىٰ مذهب أبي حنيفة النعمان، وعلىٰ مذهب الشافعي ومالك وأحمد، ومع ذلك هُم يخالفونهم.

وأول المخالفات كما نَبّه عليه غير واحد من أهل العلم: تحذير الأئمة الأربعة من التعصب والتقليد؛ فهذا يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وآخر يقول: إذا عارض قولي قول رسول الله فاضربوا به عرض الحائط، والآخر يقول: ما مِنّا إلا رادّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، وآخر يقول: لا تُقَلّدوني، ولا تُقَلّدوا مالكًا ولا الثوري وعليكم بالأثر.

فأئمة المذهب الأربعة كلهم ينهىٰ عن التعصب، ثم يأتي من أتباعهم مَنْ يخالفهم، ويتعصب لهم!

"الحادية والعشرون بعد المائة: صَدّهم عن سبيل الله مَنْ آمن به".

تَقَدّم في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

الثانية والعشرون بعد المائة: مودتهم الكفر والكافرين.

الثالثة والعشرون بعد المائة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والعشرون بعد المائة: العِيَافَة، والطَّرْقُ، والطِّيَرَة، والكهَانَة، والتَّحَاكُمُ إلىٰ الطَّاغُوتِ، وكَرَاهَة التَّزْوِيجِ بين العبدين، والله أعلم.

هذه كذلك كلها من شأن أهل الجاهلية:

العيافة: زَجْر الطير تشاؤمًا، فيزجرون الطير، إذا خَرج الشخص من البلد زَجَر الطير، رماه بحجر أو ما شَابَه ذلك، فإن سَنَح أو بَرَح سافر أو أحجم، فإن اتجه الطير لليمين تفاءل وسافر، وإن اتجه الطير إلىٰ اليسار تَشَاءم ورجع، وهذا من العيافة، وهي فَرْع من فروع الطيرة التي نَبّه عليها الشيخ هنا كذلك.

والطَّرق: هو الخط علىٰ الأرض، أو الضرب بالحصىٰ، فيستخدمه السحرة والساحرات، يخطّون خطوطًا علىٰ الأرض، أو يضربون بالحصىٰ، ثم يتخرصون بالغيب، ويقولون: سيحصل كذا أو سيقع كذا أو سيموت كذا، أو ما شَابَه ذلك.

والطيرة: من التشاؤم بالطير عمومًا، والتشاؤم بالأشياء عمومًا، التشاؤم بالألوان، التشاؤم بالأسماء، التشاؤم بالأيام، التشاؤم بالأرقام، هذا كله من الطيرة المحرمة، ومن دين الجاهلية.

والكهانة: التكهن، التخرص، كلها يجمعها العرافة.

فالعَرّاف اسم جامع بحسب وسيلة التعرف أو دعوىٰ التعرف علىٰ الغيب يُسمىٰ الفاعل؛ فإن ادّعىٰ التعرف علىٰ الغيب بالكهانة فهو كاهن، وإن ادّعىٰ التعرف علىٰ الغيب بالنجوم فهو مُنَجّم، وإن ادّعىٰ التعرف علىٰ الغيب بالرمل فهو الرَّمَال أو الطَّرْق، وهكذا؛ فبحسب..، وبالسحر يُعتبَر ساحرًا، وهكذا.

فالعَرّاف اسم جامع، وبحسب ما يَدّعي به المعرفة يُسمىٰ؛ فإن كان بالكهانة فهو كاهن، وإن كان بالنجوم فهو مُنَجِّم، وإن كان بالسحر فهو ساحر، وإن كان بالطَّرق والرَّمل فهو رَمّال أو خَطّاط أو ما شَابَه ذلك.

والتحاكم إلىٰ الطاغوت أيضًا هذا من شأن أهل الجاهلية.

وكذلك كراهة التزاوج بين العبدين تَكَبُّرًا وأَنَفة، عند أهل الجاهلية كرهوا ذلك فذكره الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

كما تقدم أن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- لم يلتزم بالاستيعاب، وإنما هي مسائل ذكرها، وهناك غيرها الكثير، كالتبرج ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهذا كان من شأن الجاهلية.

وقد أَلّف الشيخ عبد الله بن محمد الدويش -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- وهو شاب توفي وعمره خمس وثلاثين سنة، لكنه علىٰ عِلْم وعلىٰ تقوىٰ وعلىٰ دين وعلىٰ سُنّة -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، أَلّف زوائد مسائل الجاهلية، وأوصلها إلىٰ مائتين سمة أو صفة أو خُلُق أو عمل يعمل به أهل الجاهلية، جاءت في الكتاب والسُّنة.

وربما أذكر كذلك بعض الغماريين الصوفية، أَلّف كتاب في هذا الباب أيضًا، ذكر فيه أمور الجاهلية التي وقعت عند أهل الإسلام.

مَنْ قرأ الكتاب والسُّنة كما قال ابن عباس سيجد من أوصاف أهل الجاهلية والأمم السابقة أوصافًا الْمَعْنِي بها نحن، حتىٰ نحذر من الوقوع فيها، فانظر ما ذم الله من صفات اليهود والنصارىٰ والأمم السابقة، ثم اعلم بأنك أنت المعني بهذا الذم حتىٰ لا تقع فيما وقعوا فيه، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لَتتبعن سَنن مَنْ كان قبلكم حَذْو القُذَّة بالقُذّة..» إلىٰ آخر الحديث.

تمت الرسالة مسائل الجاهلية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-

.

وأوصي مراجعة ما كَتَبه أهل العلم من تعليقات وشروحات عليها، كشرح أبي المعالي الألوسي، وشرح شيخنا الشيخ صالح الفوزان وجماعة.

وكذلك أوصيكم بالعناية بها في طَلَب الدليل والاستدلال لها.

فلو أن منكم مَنْ نَشِط إلىٰ رسالة، يسميها الاستدلال لمسائل الجاهلية لشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهو بحث طيب، فيحشد أكبر قدر ممكن من الأدلة الْمُثبتة، وإن كان هناك مَنْ صَنّف في أجزاء معينة، كالشرك في القديم والحديث، كتاب مطبوع في ثلاث مجلدات، ذَكَر فيه صنوف من الشرك الواقعة في الأمم السابقة، والأمم اللاحقة.

ولكن كلما استطاع الشخص أن يجمع الأدلة الدالة علىٰ ما ذكره الشيخ محمد ويؤيده بالدليل فهو علىٰ خير علىٰ خير.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم بهذه الرسالة وبغيرها من مؤلفات شيخ الإسلام -عليه رحمة الله- تعالىٰ.

أُجيزكم أن تروووها عني بالإسناد المتصل سماعًا وإجازة عن مشايخي إلىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -عليه رحمة الله عز وجل-.

هذا والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.